



العُصْبُورُ

العدد ٦ مجلد ١ شعاع الحكمة بحمدنا إليك فبراير ١٩٢٨

ادراك الروح

عن انشاعر الفيلسوف الآلمى

رابندراناث طاغور

لقد رأينا من قبل أن آمال أهل الهند القديمة قد أتحصرت في أن يعيشوا ويتحركوا ويمجدلوا في براهمسا ، الذى هو الروح الكلى الادراك ، الموجود في كل مكان ، وذلك بأن يوسعوا من افق ادراكهم ليشمل العالم كله . ولكن قد يقال بان هذه مهمة الحصول على غايتها وتعذر المنال مستحيل التنفيذ . فاذا كان شمول هذا الادراك عبارة عن طريقة تنفذ في الخارج ، فهناك تكون بلا نهاية : وما مثلها الا كمثل من يريد أن يعبر المحيط الاوسع فيعمد الى ماء ينزحه ليتركه يبسا . وقد يقال ان الانسان اذا بدأ بأن يعمل في سبيل أن يحقق الكل ، فلا بد من ان ينتهى من غير أن يحقق شيئا .

غير أن هذا الامر ليس فيه من البعد عن أحكام العقل بقدر ما يلوح في

ظاهرة . فالإنسان إنما يجهد نفسه كل يوم ليحمل تلك العضلة ، معضلة الاستزادة من مدى عالمه الذي يعيش فيه ، وفي حفظ موازنة تلك الأثقال التي تقع على أكتافه . أما أحماله فكثيرة . وانها متعددة ، حتى إنه ليعجز عن حملها ، ما لم يلتمس طريقة يستطيع بها أن يخفف من ثقل حمليه . وكما شعر أن أثقاله عظيمة غير محمولة ، عرف أن ذلك راجع الى عجزه عن أن يقف على سر تلك الطريقة التي يستطيع أن يضع بها كل شيء في موضعه ، وأن يوزع الاحمال على وجه التوازن والمساواة . وما أبحث وراء تلك الطريقة ، الا البحث وراء الاندماج والوحدة . وراء الالفه والاتساق . إن الشيء الذي نحاول أن نحصل عليه هو التأليف بين أجزاء الاختلاط المتنافرة التي تختص بها الاشياء الخارجية ، بفضل تعديل باطنى . على أننا لا نلبث في درج بحثنا أن نشعر شيئاً فشيئاً بأننا من أجل أن نعثر على الواحد فلا بد من أن نحصل على الكل ، وأن في هذا ينحصر كل ما نشد من غايات عظمى ، وفوائد جلى . وكل ما في هذا الامر راجع الى قانون تلك الوحدة التي اذا عرفناها ، أصبحت منبع قوتنا ، وأصل عظمتنا . اما مبدؤها الحى فتلك القوة التي تتضمنها الحقيقة ، حقيقة تلك الوحدة التي تدرك الكثرة والتنويع بل وتتضمنهما . إن صور الواقع كثيرة ، ولكن الحقيقة واحدة . فإن ذكاء الحيوان يدرك أوجه الواقع ، في حين ان العقل الانسانى فى مستطاته أن يدرك الحقيقة . فالتفاحة تسقط من الشجرة ، والمطر يقع على الارض . تلك أوجه من الواقع يمكنك أن تشحز بها ذاكرتك من غير أن تصل الى نهاية أو آخر . ولكن اذا وصلت الى معرفة قانون الجاذبية ، فإنك بمعرفة هذه الحقيقة الغائية تستغنى عن تلك الضرورة التي تدعوك الى الوقوف على اوجه الواقع . انك انما تكون قد وصلت الى حقيقة تتضمن من اوجه الواقع عدداً لا نهاية له . على ان استكشاف الإنسان لمثل هذه الحقيقة لمبعث للجدل يفيض على قلبه ، وسبب للتحرر من الاوهام يتمتع به عقله . لأن مثل وجه بذاته من اوجه الواقع كمثل درب مسدود الجنبات لا يسلم الى غيره من الدروب والطرق . ولكن الحقيقة تفتح امامنا افتقاراً برأسه ، وتقودنا الى اللانهاية . وهذا هو السبب فى ان حقيقة عامة بسيطة كتلك التي استكشفها

رجل مثل داروين في عالم البيولوجيا ، لا تقف آثارها عند حد ذلك العلم وحده ، بل تكون كمصباح ينثر أنواره المضيئة المشعة الى ابعاد اقصى بكثير من الابعاد التي أشعل لاجل اضائها ، فينير كل ذلك الحيز الذي تنطوى عليه الحياة الانسانية والفكر ، ويستعل باغراض الانسان الى اطباق المثل العليا . لهذا نجد أن الحقيقة في حين أنها تتضمن أجزاء الواقع ، ليست في الوقت ذاته مجرد ايلاف بين تلك الاجزاء ، بل هي تفوق تلك الاجزاء ، متناثرة ومجتمعة ، وتشير الى حقيقة اللانهاية .

الانسان في عالم المعرفة ، كما هو في عالم الادراك تماما ، يجب عليه ان يحقق على وجه من الدقة والضبط وجود حقيقة مركزية تزوده بمدى من النظر يمتد الى اقصى الابعاد الممكنة . وهذا هو الغرض الذي ترمى اليه اليوبانيشاد اذ تقول :
« اعرف ذات روحك »

أو بعبارة أخرى : حقق مبدأ الوحدة العظمى الذي هو كائن في تضاعيف كل بشر .

ان كل القواشر التي تسوقنا في سبيل الانانية ، ورغباتنا التي يتمثل فيها حب الذات ، عامتها أشياء تغشى على أبصارنا بما يمنع علينا أن نرى الروح . لان هذه الاشياء في الواقع لا تدل الا على مجال أنفسنا الضيق . أما اذا كنا شاعرين بروحنا ، فاننا هنالك ندرك حقيقة الوجود الباطن الذي يستعل على نفوسنا ، والذي هو ذورابطة أمتن مع الكل ، وآصرة أدنى الى اللانهاية .

عند ما يبدأ الاطفال في تعلم الحروف الهجائية كل حرف منها قائم بنفسه لا يدركون شيئاً من اللفة ولا يشعرون بغبطة . لأنهم في الواقع بعيدون عن معرفة الغرض الحقيقي الذي يرمى اليه هذا الدرس . والحقيقة أن هذه الحروف اذا استرعت كل أنتباهنا ، على أنها وحدات قائمة بذاتها واشياء منفصل بعضها عن بعض ، انهكتنا وزادتنا شأماً . على أنها تصبح زبعا للجدل لا ينضب اذا اجتمعت فكونت كلمات وجمل وحملت معان

وهكذا الحال مع روحنا ، فانها عند ما تنتزع من حيزها وتسجن بين جدران

ضيقة ، حدودها النفس الانسانية ، تقعد خطرها وعظمتها . ذلك لان ماهيتها هي الاندماج والوحدة . ان الروح انما يجد الحقيقة بان يوحد بين ذاته وبقية الاشياء ، وان يستطيع ذلك الا في حالة الفرح والافتتان . لقد اضطرب الانسان والتوى عليه الامر ، فعمش في خوف ورهبة طوال تلك العصور التي امتنع عليه خلالها ان يستكشف اتساق ، الناموس في الطبيعة . لقد ظلت الدنيا اجنبية عنه وهو أجنبي عنها حتى آخر عهده بتلك الحال . اما الناموس الذي كشف له عنه فلايس بشيء اللهم سوى ادراك تلك الألفة الكائنة بين العقل ، الذي هو روح الانسان ، وبين النظمات العالمية . هذه هي رابطة الوحدة التي يتصل الانسان من طريقها بالعالم الذي يعيش فيه ، وانه يشعر بافتتان أخاذ عند ما يكشف عن هذه الرابطة ، لانه إذ ذاك يحقق وجوده مندججا في تضاعيف ما يحيط به من الاشياء

مفروض علينا ، اذا ما أردنا أن ندرك حقيقة أي شيء ، أن نعثر في ذلك الشيء على مبدأ يكون في ملكنا وحيارتنا . ولهذا نجد ان استكشافنا لذواتنا ، خارا عن حيزنا ، هو الذي يفتننا ويبعث فينا النبضة والسرور . هذه علاقة من انهم جزئية لا غير . اما علاقة الحب فكاملة . في جو الحب تنتفي الفروق . وهنالك ، في حيز الكمال ، يصل الروح الانساني الى اغراضه مستعلما على حدود النفس ، متخطيا عبر الباب الى عالم اللانهاية . إذن فالحب هو اعظم النعم التي في قدرة الانسان ان ينشدها لان من طريق الحب وحده ، يستطيع أن يدرك أنه في الحقيقة أكثر من نفسه ، وانه واحد مع الكل

مبدأ الوحدة ، الذي يحوز به الروح الانساني ، لا ينفك في حركة دائمة ونشاط مستمر ، ناسجا خيوطا من العلاقات المختلفة تصل بين أقصى الابداد وأوسع الرحاب ، من طريق الادب والفن والعلم والجماعات الانسانية والسياسة والدين . إن أعظم من أوحى اليها بشي في هذه الدنيا هم اولئك الذين اظهروا لنا المعنى الحقيقي للروح ، من طريق انكار النفس ، لاشيء الا الحب النوع الانساني وخيره . لقد واجهوا كل مفرع ، وحملوا كل اضطهاد وصبروا على الفاقة والذل ، وذاقوا الموت ، خدمة لتضحية الحب العام . انهم حيوا حياة الروح ، لا حياة النفس .

وبذلك دلونا على الغاية الاخيرة التي تسعى اليها الانسانية . اننا ندعوهم
« مهاتما » أى :

(الرجل ذوو الارواح الكبيرة)

قيل فى اليوبانيشاد : —

(إنك لا تحب طفلك لأنك ترغب فيه، بل إنك تحبه لأنك فى الواقع ترغب
فى روحك انت)

ومعنى هذا اننا فى كل من نحب إنما نجد أرواحنا متجلية بكل معانى التجلى
والظهور : وان الحقيقة الاخيرة التى يدور من حولها وجودنا تنحصر فى هذا
وحده . إن « البراماهما » — أى الروح الاعلى — كائن فى . كما هو كائن فى
روحى ، وإن انتنى بولدى لتحقيق على هذه الحقيقة .

إن من الحقائق العامة التى يشترك فى الاعتقاد بها كل الناس ، والتى يكون
من الغرابة أن نفكر فيها متأملين ، أن مسرات من نحب واحزانهم إنما هي مسرات
انا واحزان . ولكن ! إنها فى الواقع أكثر من هذا . لماذا ؟ لاننا بهذه الاحزان
وتلك المسرات ، قد اتسع افقنا وكبرت ذاتيتنا ، واستطعنا أن نلمس تلك
الحقيقة العظمى التى يمكن الكون كله فى تضاعيفها .

وقد يتفق كثيرا أن يصبح حبنا لاولادنا أو لأحد قريتنا أو لغيرهم من نحب
عائقا لنا عن تحقيق ذاتيتنا الروحية لا بعد من هذا . أنه مما لا مشاحة فيه أن مثل
هذا الحب يزيد من المرامي التى يرمى اليها وجداننا ، غير أنه فى الوقت ذاته يقيم
حول الوجدان حدودا تمنع عليه أنه يتخطاها الى آفاق أرحب . ومع كل هذا فلابا
أولى الخطا التى يخطوها الانسان فى هذه السبيل . على أننا لا ننسى أن تيه الروح
لا يكون الا فى هذه الخطوة ، لانها تطيرنا على الحقيقة التى تتطوى عليها طبيعة
روحنا ، وفيها نعرف أن أعظم الجذل إنما ينحصر فى أن نفقد انفسنا الشهوية وأنانيتنا ،
وفى أن نحقق بجانب هذا الفقدان ، الوحدة مع غيرنا . وهذا الحب يزودنا بقوة جديدة
ونفوذ فى البصيرة وصفاء فى العقل يصل بنا الى أبعد تلك الحدود القصية التى ندورون
حولها . ولا جرم أن الحب يعجز عن أن يزودنا بهذه الاشياء اذا فقدت تلك الحدود

درونتها ووقفت حلائلا بين روح الحب ان يمتد اقفه ويتسع مداه . هنالك تصبح صداقاتنا مجرد حوائل وموانع . وتصبح اسرنا غارقة في الانانية ساجدة في مكدرات لا يقدر الانسان أن يعيش محوطا بها ، وتصبح الام ضيقة بحال النفس غير حرة الضمير ، فتتوء بما في طبيعتها من عدوان وعسف على اكتاف غيرها من الام والسالات . ولا مثل لهذا الا مثل من يضع نوراً مشعلا في مكان محكم الغلق . فان النور يظل مضيئا ساطع اللعان حتى تجتمع من حوله الغازات فتتطفئ الشعلة . غير أن هذه الشعلة ، مع كل هذا ، تكون قد برهنت على حقيقةها قبل أن تنطفئ ، وعرفتنا كيف يكون الفرق بين جذل الحرية وبين تلك الظلمات

من مبادئ « اليوبانيشاد » أن الطريق المؤدى الى الادراك العالمى أو الادراك الآلهى ، هو طريق الادراك الروحى . فان معرفة روحنا وتحقيق وجودها بعيدا عن قواصر النفس الشهوية ، هي أولى الخطا التي نخطوها في تلك السبيل التي نحقق فيها شئنا الاخير ونحررنا الا الى . يجب أن نعرف ونوقن بكل معانى اليقين ، باننا في جوهرنا الحقيقي روح لا غير . ولن نصل الى هذا اليقين الا بأن نتسود على النفس ونستعبد بها بأن تعمق وأن نستعمل على ردائل الكبرياء والطمع والخوف ، وأن نوقن بأن الحسائر الدنيوية بما فيها الموت الطبيعى ، لن تنتقص شيئا من حقيقة الروح وعظمتها . فان الفرخ الصغير عند ما يخرج من ظلمات البيضة المستقلة الوجود ، يعرف بأن القشرة الصلبة التي كانت تغطيها لم تكن في الواقع جزء من حياة البيضة نفسها . فان هذه القشرة شئ ميت ، لا ينمو ، ولا يمكن أن يشف عن شئ من الامتداد الواقع وراءها . غير أنها على جمالها وحسن تناسبها يجب أن تكسر وتخطم وأن تقتحم أسوارها حتى يمكن الحصول على الحرية الكائنة وراءها . وهنالك يتحقق الغرض من حياة الطائر الصغير .

في اللغة السنسكريتية يسمى الطائر « المولود مرتين » وهكذا يسمى فيها الرجل الذى يظل محافظا على نظمات ضبط النفس والتأمل مدى اثني عشر عاما ، على شرط أن يصبح شاذج المطالب نقي القلب ، مستعدا لان يحمل كل مسؤوليات

الحياة في سعة من الروح بعيدة عن التأثير بالانانيات . إنه إذ ذاك يعتبر أنه « ولد مرة أخرى » خارجاً من ذلك السياج الذي كانت تحوطه به مطالب النفس العمياء الى حرية الحياة الروحية ، وأنه أصبح في صلة حيوية مع ما يحيط به من الاشياء وأنه أصبح واحداً من الكل

لقد حذرت قرأني من قبل ، كما أجزرهم الآن ، من أن يعتقدوا بفكرة أن الهند وحكماءها قد بشروا للناس بانكار الدنيا وانكار النفس ، مما لا يقود خطواتنا إلا الى عالم من السلب لا نعترف فيه الا على خلاء صرف غير متناه . ان مرماهم كان تحقيق الروح ، أو بعبارة أخرى ، حياة الدنيا بادراك الحقيقة الكاملة . لما قال المسيح عيسى بن مريم « طوبى للمتواضعين لانهم سيرثون الارض » لم يقصد الى شيء سوى هذا . إنه أعلن الحق . لان الانسان عندما يتحرر من كبرياء نفسه ، فإنه بذلك يصل الى ميراثه الانساني ، ولم يبق له من حاجة لان يقاتل في سبيل أن يحصل على مقامه الدنيوي . لان مقامه يصبح في تلك الحال مصوناً أينما حل وكان ، بما اكتسب روحه الخالد من حق ثابت . فإن كبرياء النفس انما تعطل خصائص الروح ، الذي يعمل دائماً على ان يحقق وجوده باكمال وحدته مع الدنيا ورب الدنيا

يقول بوذا في موعظته الى صاوصيها: —

« حقاً «ياسمها» انى ابغض ضروب النشاط والحركة ، ولكن تلك الضروب التى تقودنا الى الرذائل فكراً وعملاً . حقاً «ياسمها» انى أبشر بالفناء . ولكن فناء الكبرياء والشهوة والافكار السيئة والجهل . لا التسامح والعفو والحب والتصدق والحق »

إن مذهب الخلاص الذى بشر به بوذا قد انحصر في التحرر من رتبة «الافيديا» . اما «الافيديا» فذلك الجهل الذى يظلم الادراك ، ويعمد دائماً الى ان يحصره في حدود النفس الانانية . ان «الافيديا» وبالاخرى الجهل أو تحديد الادراك ، هو الذى يمزق وحدة النفس . وبذلك تصبح النفس مبعث الكبرياء ، ونبع الطماعية ، واصل القسوة ، التى هي لزام الانانية وحب الذات .

عندما ينام الإنسان فاذ ذاك يكون مأسورا في الجبال الضيق الذي تفرضه عليه حياته الطبيعية . انه يعيش . ولكنه في هذه الحالة لا يمكنه ان يدرك أوجه العلاقات المتباينة التي تربط بين حياته وبين ما يحيط به من الأشياء . ولهذا لا يستطيع ان يدرك نفسه : وكذلك الحال اذا عاش الإنسان حياة «الافيدى» فانه يكون أسير نفسه . ذلك هو الذرم الروحي ، الذي يكون فيه ادراكه غير كامل القدرة على معرفة الحقيقة العظمى التي تحيط به ومظاهرها ، وبذلك لا يكون قادرا على ادراك روحه . اما ا.ا. حاز «البوذي» أي اليمظة من نوم النفس ، واستكمال الادراك ، فانه اذ ذاك يصبح «بوذا»

التميت ذات يوم بناسكين من طائفة دينية ما في قرية بينجال . فسألتهما «اتستطيعان أن تخبراني في أي شيء تنحصر أخص مظاهر دينكما» . أما احدهما فقد تردد برهة ثم أجابني : «إنه ليس من المين ان أحدد ذلك» . أما الآخر فقال «كلا . إن هذا سهل هين . اننا نعتقد أنه يجب علينا أولا أن نحرر روحنا بأرشاد معلمنا الروماني . وبعد أن نستكمل تلك المعرفة ، نستطيع أن نعتبر عليه الذي هو الروح الأعلى حلالا فينا» . فسألته : «ولماذا لا تبشر بهذه الحقيقة لكل من في الأرض» . فقال «إن كل من يحس بالعطش لا بد من أن يحضر بنفسه ليستقي من النهر» . فسألته «أوتجده الحال كما تقول ؟ هل هم قادمون ؟» فارتسمت على أساريره ابتسامه حلوة ، ثم قال في هوادة من الاعتقاد لا يشوبها قلق ولا ضيق صدر : «يجب عليهم أن يقدروا الى النهر ، أفرادا وجماعات» .

نعم . إنه على حق . ذلك الناسك الساذج الذي يعيش في ريف بينجال . فإن الإنسان على التحقيق انما يعمل جادا ليرضى ضرورات يشعر أنه أكثر احتياجا اليها من الغذاء والكساء . إنه يعمل ليجد نفسه ويعثر بها . ان تاريخ الإنسان هو بذاته تاريخ سفره الطويل الذي قضاه نمو العالم الجبول سعيا وراء تحقيق نفسه الخالدة ، أي روحه . ففي قيام الامبراطوريات وسقوطها ، وفي استجتماع الثروات الضخمة ثم انناقها وتبديدها مع الرياح الاربعة ، وفي خلق

تلك المجموعات الكبيرة من الرموز التي تشكل أحلامه وآماله ، ثم نبذها
وتخلّصها الى الحضيض كما تخلّصهم الرجولة الأعيب الطفلة ، وفي اختراعه الخلف
تلك المفاتيح السحرية التي تناول بها أن يفتح الباب ليبلغ منه الى أسرار الخلوقات ،
ثم في تركه نتائج كل هذه الجهود العظيمة ليعود ثانية الى العمل منتحيا منحنى
جديدا سالكا طريقا بكارا : في جماع هذه الظواهر ، نجد أن الإنسان قد مضى
منعقلا من عصر الى عصر ، ومن جيل الى جيل ، وانصب عينيه غرض واحد هو تحقيق
روحه . ذلك الروح الذي هو أعظم من كل ما في مستطاع الإنسان أن يستجمع
ويكسب ، وأضخم من كل ما في قدرته أن يتم من أعمال أو يكون من نظريات .
ذلك الروح الذي لا يبعد عن سبيله الارتقاء بموت ولا انحلال بدن .

إن الأخطاء التي وقع فيها الإنسان لم تكن في حالة من الحالات ضئيلة تافهة .
ولذا نجد أنها سدت سبيله بخرائب يصعب اجتيازها . أما آلامه فكانت طويلا
ممنمة . وما هي الا مقدمة لنتيجة ترمى الى غرض ذاهب في أعماق اللانهاية .
ولقد مضى الإنسان متتجها هذه السبيل مستقلا فيها بطرق مختلفة ، وما كانت
معادته ونظاماته الامدادية التي اقامها ليأتي اليها في كل يوم قرباناته وضحاياه .
وانها لجميلة القدر ، وثقة العدد . ولا ريب في ان كل هذا يصبح لا معنى له ،
بل يكون عبئا غير محمول ، اذا كان الإنسان قد مشى في درج كل هذه الحالات
غير شاعر بما يستلزم من الجذل والافتتان المنبث من روحه الكائن بين
جوانحه ، والذي يبلو قوته القدسية بما يحمل من آلام ، ويبرهن على أن معينه
فئض غير ناضب ، بما فيه من قدرة على نكران الذات .

نعم . إن المهاجرين لتادمون زراعات ووحدا . قادمون الى حيث يجدون
الورثة الحقة التي يرتون بها الدنيا . إنهم يجدون عاملين على أن يوسعوا ادراكهم
وأن يرتقوا شيئا فشيئا الى الوحدة العليا ، مقربين وهنا على وهن من تلك
الحقيقة الكبرى . الحقيقة الكاملة الادراك .

إن فقر الإنسان لدفع ، بالغ أقصى حد من التزل والاسفاف . أما مطالبه
فبلا نهاية ، وانها تظل كذلك الى أن يدرك حقيقة روحه ادراكا كاملا . ومنذ

أن يبدأ جهاده العظيم ، حتى يبلغ هذه الدرجة تظل الدنيا في نظره في حالة انحلال مستمر ، أو تلوح له كخيال كائن ولا كائن . أما الرجل الذي حقق وجود روحه قد عثر على مركز محدود للكون ومن حوله يبد كل شيء آخر موضعه الحقيقي . وبهذا يستطيع أن ينعم بحياة الالفه التامة .

لقد مر على الكون عهد كانت فيه كرة الارض كتلة سديمية متباعدة الدقائق بفعل الحرارة التي تمدد الاجسام ، حيث كانت لاتزال في حالة الفرارة الاولى . ولم تكن قد استكملت شكلها وصورتها ؟ ولم يكن فيها جمال ، ولم يختلف وراء وجودها قصد . بل كان كل ما فيها حرارة وحركة . فلما أن مضت متدرجة في التشكل وتكاثفت أبخرتها فكانت كلا مستدير الشكل متحد الأجزاء بفضل تلك القوة التي رمت الى استجماع كل المواد المتنايزة تحت حكم مركز ما ، هنالك شغلت مكانها الحقيقي بين سيارات النظام الشمسي ، كزمردة جميلة بين حبات عقد من الماس . كذلك تجد الحال في الروح الانساني . فان حرارة القواسر العمياء وحركتها ، والشهوات وقوتها ، اذا احاطت بنا من كل الجوانب ، فهناك نعجز عن أن نعطي أو نربح شيئاً في الحقيقة . اما اذا عثرنا على المركز الذي ندور من حوله ممثلاً في الروح ، واستطعنا ان نحقق ذلك بضبط النفس ، وبذلك القوة التي تؤلف بين كل العناصر المتنافرة ، ونوحد بين ما تباعد منها ، فاذا ذاك تتدامج كل الآثار النفسية المتنافرة المتنايزة ، فتكون « حكمة » واذ ذاك تستكمل كل القواسر القلبية الموقوتة مثلها العليا ، فتكون « حبا » . هنالك تكشف لنا صفائر الحياة ودقائقها عن قصد غير متناهي البصور ، وتتحد افكارنا وآمالنا اتحاداً غير مفصوم الحلقات اذ تجمع بينها ألفة باطنية تامة التكوين يقول اليوبانيشاد في كثير من الثقة :

« أعرف الواحد . اعرف الروح . فان ذلك هو الجسر الذي تعبر من فوقه الى حيث تجمد الذات الباقية السرمدية »

هذه هي غايه الانسان . غايته أن يعرف « الواحد » الذي هو كائن فيه . والذي هو حقيقته وروحه . أما هذه الغاية فهي المفتاح الذي يفتح به الباب الى

حيث يلج إلى عالم الحياة الروحانية . إلى ملكوت السماوات
 أن رغبات الإنسان كثيرة وانها لتجته سعيًا وراء الصور المختلفة التي
 تتشكل فيها الدنيا . لانها هنالك تقع على عناصر حياتها ومبادئ بقائها . أما ذلك الشيء
 الذي هو « واحد » كائن فيه ، فيبحث عن الوحدة والاتصال . وحدة الحب .
 ووحدة الغايات الإرادية . أما غاية افتتان ذلك المبدأ الواحد الذي هو كائن
 في الإنسان ، فالوصول إلى الواحد اللامتناهي في وحدته السرمدية . ولهذا يقول
 اليوناني شاد : —

« الذين استقرت عقولهم وهدأت ، لا سواهم ، يستطيعون أن ينعموا بالافتتان
 الكامل بأن يحققوا في ذواتهم وجود « الذات » التي تعرض لانظارنا ماهية واحدة
 في اعراض مختلفة الصور كثيرة العدد »

يتخذ « الواحد » الكامن فينا من كل ما يظهر في هذه الدنيا من مختلف
 الصور خيوطا يحبك بها سلماً يتخذه سبيلاً إلى « الواحد » الحال في كل الأشياء .
 هذه هي طبيعته . وهذه هي غاية افتتانه . غير أنه لا محالة يعجز عن أن يجتاز هذه
 المفازة الموحشة ليصل إلى غرضه ، ما لم يكن حائزاً على ضوء ذاتي يستطيع أن يرى
 من خلاله الشيء الذي هو ساع إليه . إن رؤية « الواحد الأعلى » من خلال
 الروح ، لن تأتي إلا من طريق البصيرة وحدها ، وليست من قوة الاستدلال ولا
 البرهان في شيء . إن عيوننا بطبيعتها ترى الشيء في مجموعه ، لا بتمزيقه قطعاً
 وأجزاء ، بل بجمع كل الأجزاء معاً فيصبح ذلك الشيء في وحدة مع أنفسنا .
 وكذلك هي الحال في البصيرة التي هي من خصائص ادراكنا الروحي ، فانما إنما
 تحقق وحدتها الصحيحة الكاملة بالاندماج في « الواحد الأعلى » .

إنه « فشفافاً كالماء » أي أنه بتنويع في الصور والقوى يلقي بمظاهره الخارجية على الطبيعة
 ثوباً . أما مظاهره المستبطنة في روحنا ، فذلك الشيء الذي يوجد في الواحد ولا في غيرها .
 ولهذا نجد أن بحثنا وراء الحقيقة في عالم الطبيعة راجع إلى طرق التحايل وغيرها من
 الطرق التدرجية التي يلبجها إليها العلم . في حين أن فهمنا للحق الكامن في روحنا فجائي
 مباشر من طريق البصيرة . إننا لا نستطيع أن نصل إلى الروح الأعلى بأن نزيد تدرجاً

من ، لمرماننا بأن نضيف اليها جزء بعد جزء وهنة بعد هنة ، ولو قدر لنا أن نعيش
مكبين على هذا العمل طوال الآباد . لانه واحد ، غير ممكن من أجزاء . اننا لانستطيع
أن نعرفه ونشعر اليه الا اذا أيقنا بأنه في الواقع صميم الفؤاد وروح الارواح . اننا نشعر على
أن نبلغ اليه بالسبب والافتان المدين نشعر به ، اذا ما تمكنا من انكار انفسنا ووقفنا
أمامه وجهنا لوجه .

ان أشد الصلوات حرارة وأكثرها في يقيني صدقا ، بل انص صلاة
خرجت من قلب بشرى ، هي تلك الصلاة التي تقع في قلبها في لساننا القديم
حيث يقولون :

« أيها الواحد المتجلى بذاته تجل في رزقي »

اننا في تعاسة وشقاء لاننا غارقات نأسرنا النفس وروحياتها . تلك النفس
الضيقة الشائرة التي لا تبعث من ضوء ولا تلج الى الانبابة بابا . ان نفسنا لتظهر
عالية الصوت ، ولكن بما تبعث بين جدراننا من صخب وصياح . انها ليست ذلك
الترقيق التي تهز اوتاره فتبعث بموسيقى السرمد والابد . واليك تنهدات الجزع
ومتاعب السقطات والاختفاء . والاحزان الممضة على مائت . والاشفاق مما حوأت .
ذن كل هذه اشياء تلتقي بافتدنا في يمين من الرعب والوقوف . لاننا لم نعثر بهد على
أرواحنا ، ولان ذلك الروح الذاتي المتجلى ، لم يتجل بهد في حياتنا الباطنة .
ومن هنا اندمجت في مرآتنا تلك الصيحة القلبية التي تقول فيها :

« أيها الواحد الجليل الميب ، نجني بابتسامة غفرانك وحنانك كل
وقت وأن »

ان اشباع المذائد النفسية والشره الذي لا تمتنع نهمتا ، وكبرياء الملك والاستحجاء
وأسفاف القلب نفورا وبخافة ، كل هذه أشياء تنفي من ذرائعها أكفان الموت والنفاء
« رودرا » أيها الواحد ذو الجلال . مرق هذا الغطاء المظلم قطعا ، وأضرب
هذا الليل الخالك بشمع منبج من بساط غفرانك وايقظ روحي »

« قد خطواني من الملاحقة الى الحقيقة . ومن الظلام الى النور . ومن المرات

الى الخلود »

لكن كيف يؤمل انسان ان يحقق ما في هذه الصلاة من دعوات ؟ فإن المسافة التي تفصل بين الحق والباطل شاسعة بلا نهاية . وهي كالفراغ الواقع بين المرات والالود . ولكن هذه الفجوة السحيقة لا ريبه تعبر في لحظة واحدة اذا شاء الواحد المتجلى بذاته ان يتجلى في قرارة الروح . اذ ذاك تقع المعجزات ، حيث هنالك يلتقي المتناهي بخير المتناهي .

« يا بـت . امح عنى كل معصية واذهب بها »

لأننا بالمعصية تنصر المتناهي على اللامتناهي اسأل فينا . إنها لازمة لتتصور فيها النفس على الروح . أن هذا لعب الخسران والمدم ، الذي يغامر الانسان فيه بالكل طمعاً في الحصول على الجزء . ان المعصية ستار للحق ، ينشئ على صفاء ادراكنا كغمامة كثيفة :

في غمر الخطيئة والمعصية تشتد شهواتنا سعياً وراء اللذائذ ، لا لأن اللذائذ ذاتها شيء مرغوب فيه ، ولكن لان قواسر الشهوة هي التي تخيل الينا انها كذلك . ونتمتع الى حيازة الاشياء ، لا لأن الاشياء نفسها ذات قيمة حقيقية ، بل لان طمعنا يضحكها ، فتلوح لنا عظمة قيمة . ولا ريبه في أن هذه المبالغات ، تلك النظرات الملتوية التي ننظر من ناحيتها الى ما يحيط بنا من الموجودات ، تفكك روابط الذة الحياة ، وتفصم عراها في كل خطوة نخطوها . بذلك نقصد الدستور الأعلى لمعرفة التيم الحقيقية . ونأسرنا حاجات الحياة ومطالبها . وهي على تشابك حلقاتها تستعبدنا استعباداً . فإن عجز الانسان عن أن يستجمع كل عناصر طبيعته في وحدة يتحكمها « الواحد الأعلى » هو الذي يجعله يشعر بان هنالك فجوة قائمة بينه وبين الله . وما يعبر عن هذا الشعور شيء مثل هذه الصلاة :

« يا كـلى . يا بـت امح كل معصياتنا ، وامحنا كل ما هو خير بذاته »

ذلك اننا نرى الذي تقضى به أرواحنا .

ان أكبا بنا على حيازة الذة يلزمنا ان نبقى عبيداً لنفوسنا الشهوية . أما طالب انناير فيحررنا حتى نصبح في تبعية ثابتة لكل اللامتناهي . وكما يستمد الطفل من رحم أمه ، ومات حياته من طريق اتحاده بحياة الام التي هي اكثر من حياة سمعة

وأضخم مجالا ، كذلك الحال في روحنا ، فانه انما يتغذى من طريق الخير المختص . وهذا الطريق هو عبارة عن تحقيق الآصرة الكائنة بين الروح وبين الخير . بل هو المفازة التي يسلكها الروح للاتصال بعالم اللانهاية التي تحيطه وتغذيه بلبان الخلود . ومن هنا قيل

« طوبى للذين يجوعون ويظمؤون سعيا في سبيل الاستقامة ، لانهم سوف يمتاؤون »

لان الاستقامة هي غذاء الروح القدس . وما من شيء غير هذا يمكن أن يسد جوع الانسان ونهمه ، أو يجعله يعيش عيش الخلود واللانهاية ، أو يأخذ بيده في سرى تدرجاته النشوئية نحو السرمد والابد .

« انا نسجد لك يا من يزودنا بمفاتيح حياتنا ومسرانا . ونسجد لك يا من يزود ارواحنا بما فيها من خير . انا نسجد لك يا من هو الخير كل الخير »
بل تقول : « يا من من طريقه تتحد بكل شيء وتندمج في كل شيء ، في السلام والألفة ، في الخير والحب . »

إن صراخ الانسانية انما يتعالى ليصل الى أرقى تعبيراتها . اما الرغبة في سبيل التعبير عن النفس ، فهي التي تقود الانسان الى السعى وراء الثروة والقوة . ولكن الواجب عليه أن يعرف ويستكشف ان « الاستجماع » ليس هو « التحقيق » وأن الضوء الباطن هو الذي يكشف له عن حقيقة ، وليست الاشياء الخارجية . فان ذلك الضوء الباطن اذا أضاءت أشعته ، عرف الانسان في لحظة واحدة أن أخص ما يوحى به اليه ، هو وحي الله فيه . ومن ثم تعالت الصيحة في سبيل تجلي الروح وتحقيقها ، الذي هو ليس بشيء سوى تجلي الله في الروح . وان الانسان ليصبح انسانا كاملا ويحصل على أرق حالة يستطيع فيها أن يعبر عن حقيقة ، اذا حققت روحه وجودها في الذات اللامتناهية ، التي هي (آفيه) والتي تنحصر كل ماهيتها في « التعبير » لاني شيء غيره .

أن تماسه الانسان الحقيقية ترجع في الواقع الى أنه لم يتخلص من اسره ، وانه
مظلم بنفسه ، مقتود في مهامه شهواته ورغباته . انه لا يستطيع أن يشعر بنفسه
وقد خرج الى أبعد مما يحيط به من الاشياء المادية . إن نفسه الكبرى تكون
قد عمى عليها ، والحق الكامن فيه قد غشى عليه . لهذا يجب أن لا يكون له صلاة
تخرج من أعماقه سوى القول :

« أنت يا من هو روح الظواهر ، اظهر بنفسك متجاليا في روحي » .

أن هذا التطلع الى التعبير الحقيقي عن نفسه لاعمق غورا في وجدان الانسان
من ظواهره ونهمه وطمئه وراء الجسديات ، وتمطشه الى الثروة والجاه الدنيوى .
ان هذه الصلاة ليست بشيء يعبر عن عنصر خفي نشأ في تضاعيف الانسان
وحده . انها في صميم كل الاشياء . انها عبارة عن الاجبار المتواصل الذى
يخضعه له (الآفيه) أى الروح السرمدى التجلى والظهور . وإن تجلى اللامتناهى
في المتناهى ، الذى هو المحرك الاول في الخلق والوجود ، لا يمكن أن يرى في
السموات المنمقة بالنجوم وكما وضعها ، ولا في الازهار وجمال اشكالها
وصورها . انه لا يرى الا في روح الانسان . لانه هناك تتجلى الارادة في الارادة ،
وتعد الحرية يدها لتتلقى آخر ما تنتظر من هبة وعطاء : حيث تتحقق الحرية
بالتسليم والتماء السلاح .

إذن فالنفس الانسانية هي الشيء الوحيد الذى لم يشأ بارئ الا يكون أن
يتقيد بالارادة ، فتركها حرة مختارة . لذلك نجد ان الانسان في تكوينه الجسمى
والعقلى ، حيث يكون ذا صلة عظيمة بالطبيعة الحاققة به ، يمتضى معترفا بجلال الله
وقدرته الشاملة . غير أنه اذا رجع الى نفسه وجد لديه من حرية الاختيار ما يمكنه
من انكار كل هذا . وفي هذا الحيز ، حيز النفس الحرة الاختيار ، يجب ان
يلج الله ليملأ ذلك الفراغ . هنالك يستوى كضيف ، لا كملك ولا كسلطان

ويظل منتظرا حتى يدعى . إن نفس الانسان وحدها هي التي شاء الله القادر على كل شيء ان لا تضطر الى الخضوع لأوامره ونواهيه اضطرارا بل اختيارا . تركها حرة ليفرس فيها بذور الحب الانساني . ان قواته المسلحة ونواهيه الطبيعية ، انما تقف خارج ابوابها التي لا يلج منها سوى الجمال ، رسول حبه ورحمته ليستوى في اعماقها القصية

انك لا تجد من اثر اللغو في هذا العالم : عالم الاختيار والارادة . في النفس الانسانية وحدها تقع على متناقضات البهتان والاسفاف مسيطرة حاكمة بامرها . هنالك قد تتكاثف الاشياء تكاثفا يجعلنا نصيح من أعماق نفوسنا في فزع وحرقة :

« ان مثل هذه الغوغى السائدة لا يمكن ان تبسط سلطانها ، لو ان الله موجود حقا »

والحقيقة ان الله قد ظل بعيدا عن نفوسنا ، وفي صبر لا يبلغ الى حد ولا يخلص الى نهاية ، يغشى غير يحاول ان يفتح بقوة ابواب غائمت دونه . ذلك لأن النفس الانسانية يجب ان تحصل على وجودها المعنوي الحقيقي الذي هو الروح ، لا من طريق انقهر والاضطرار الآلهي ، بل من طريق الحب . وبذلك تندمج في الله من طريق الحرية والاختيار .

إن الذي اندمجت روحه في الله ، هو الذي يقف امام الناس كزهرة الانسانية اليانعة . هنالك يعثر الانسان في الحق على حقيقة ذاته . لأن هنالك يتجلى له (الآفيه) - لا في روح البشر كأكل صورة من صور الوحي الحقيقي عن وجود الله في الانسان . لأننا نرى كيف تندمج الارادة العلوية في إرادتنا ، وحبنا المحدود في الحب الباقي الدائم

لهذا نجد ان الذين يحبون الله حبا حقا في بلادنا يكاثرون من الناس باحترام وتقديس ، قد يمكن ان يعد في الغرب انتهاكا لحُرمة الدين . فأننا نرى فيهم ان ارادة الله قد نفذت واصبحت حقيقة واقعة ، وان اكبر العقبات التي كانت تحول دون تجليه وظهوره قد زالت ، وان الجذل الآلهي قد ازهر وآتى

أكله في قلب الانسان . انتا ترى من طريق هؤلاء — المحبين لله — ان ملكوت البشر قد اظله العطف القدسي واعطاه به . وان حياتهم اذ بتقد بمحب الله وتضطرم ، انما تبعث في حياة الناس الحب متجليا في اجمل صورته وابهى ألوانه . هنالك تتجمع كل حاجيات حياتنا وممراتها القريبة ، وكل تجاربها وممراتها وآلامها ، حول مظاهر ذلك الحب القدسي ، وتكون تلك القصة التمثيلية التي نشاهدها في الانسان . هنا يمس السر الأبدى تلك التوافه والترهات فيذيقها ، لاليفتها ، ولكن ليحولها الى توقيع موسيقى خلد . وهنالك تلوح لنا الأشجار والنجوم والتلال الخضراء كرموز تناجينا بتمان تمجز السمكات عن ان تعبر عنها . ويلوح لنا كدنا نرقب « الواحد الفرد » وهو يخاق امام اعيننا عالما جديدا عندما يزيج الروح الانساني بحجب النفس واستارها عن وجهه ، ويسفر بارزا ليقف وجهها لوجه امام محبة انما الدالباق ولكن ما هي هذه الحالة ؟ انها كصبح الربيع ، اذ تتنوع فيه اوجه الحياة والجمال ، في حين انه واحد كل ، غير ذي اجزاء

إن حياة الانسان عند ما تنقذ من المهاوى المسفة والشقاء ، وتحقق وحدتها مع الروح ، فهناك يصبح وجدان اللامتنهاهي شيئا طبيعيا ثابتا فيها ، كالضوء إذ ينبعث عن اللهب : وإذ ذاك تهدأ عاصفة الجلال والصراع وتمحى متناقضات الحياة . وتأتلف عناصر المعرفة والحب والعمل : واللذة والألم يندمجان في الجمال ، والتشهى والجحود يتساويان مع انابر : ويمتلئ الفراغ الواقع بين المتناهي وغير المتناهي بالحب وفيوضه الجميلة ، وتحمل كل برهة من برهات الزمان رسائلها المعنوية الى عالم السرمد والابد ، وتظهر لنا الاشياء الشوهاء التي لا صورة لها في صورة زهرة يانعة ناضرة اثريرة شهية ، ويضمننا العالم غير الحدود بين ذراعيه كأب رحيم ، وبماشينا كصديق خالص الود شفيق القلب

إن الروح وحده ، ذلك الكل الكائن في الانسان ، هو الذي يستطيع أن يتخطى كل الحدود ويمجتاز كل الحوائل ليحقق ألفته الصحيحة مع « الواحد الاعلى »

ان حياتنا، قبل أن نحقق الالفة مع الابدى اليوم ونعثر على وجودنا الكلى،
تظل عبارة عن مجموعة عادات نسميها الحياة . واذ ذاك تلوح لنا الدنيا كآلة
ميكانيكية ، تستخدم حيث تكون مفيدة وتتق حيث تكون مضرّة مخيفة،
وان يمكن أن نعرف حقيقتها كشيء هو لنا رفيق وصاحب، لا من ناحيتها الطبيعية،
ولا من ناحيتها الروحية، ولا من ناحية الجمال .



نحن وآدم

وأنا على ما كن آدم قبلنا	غفولا ولو أن الزمان تبدا
نبيع كما باع الجنان بمنطة	على غفل من لومة الغى جهلا
وما كن أبليس سوى قوة الهوى	تضل بتيه الفكر تيهان أيللا
فهل كف أهواء وهل وضحت صوى	بمومة هذا الكون بصرها الملا
ولولا تجارب الآبوة قبلنا	مضينا بأعباء الحياة سهلا
لنا فيهمو في كل أغراضنا أسى	وان كان نهج الحق في الحق مشكلا
فما كان مما ندعى من تمدن	فجماع تجريب زماننا مطولا
فلا يفتخر عصر فكل حضارة	تتاج للجهود الجدودة أولا
وما هي إلا خطوة إثر خطوة	وجهد جديد زاد جهدا محصلا
وان كان من فخر فالناس من لدن	شقيننا بما أشقى القوى المضلا

عبد اللطيف ثابت

البابية

وجد بيلاد فارس في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، شيخ هو أحمد زين الدين الاحسائي ، كان يمزج التعاليم الاسلامية بالتصوف و ينتف من الآراء الفلسفية . كان جو البلاد مشبعاً بروح التمرد ضد نظام الحكم المتبع وكانت عقلية الوسط تسيع هضم فكرة رجوع المهدي . فكثر عدد المدعين بالمهدوية وكان أحدهم شاباً في الرابعة والعشرين من عمره اسمه ميرزا علي محمد بدأ بنشر دعوته الى المهدوية عام ١٨٤٤ وكان من تلاميذه الشيخ الاحسائي وبالفعل كان هذا المعلم يدعو الى أن المهدي كان قائماً في عالم روحاني اسمه « جابلقا » فادعى السيد علي المذكور أنه باب المهدي ، فتبعه جماعة من اتباع الامامية الباطنية وقال انه باب الدين ثم لقب نفسه بالنقطة وخالق الخلق ، ثم قال انه ليس بنبي ولا برسول ولكنه هيكلي آلهي ومنح أحدهم يديه لقب الباب . ثم عاد فادعى انه المهدي المنتظر ، وأخذ يدعي انه الحسن تارة والحسين أخرى وهكذا تسمى باسماء كل الائمة المنتظرة : فلما روجع في ذلك استشهد بقول الطائفة « الشيخية » من أن (الشخصية الانسانية التي يبرز الافراد عن بعضهم ليست اكثر من مجموعة صفات واخلاق ان وجدت تامة في شخصية أخرى في أي زمان ومكان دلت على رجوع الشخص السابق وجودها فيه الى الوجود) فبالطبع كان هذا برهان لا يرد من عقلية ذلك الزمن . واسمى نفسه « الذكر » قائلاً انه المقصود من « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » و« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » وشمر عن ساعديه وأوحى ليده بكتابة كتاب « البيان » وادعى أنه هو المقصود من الآية « خلق الانسان علمه البيان » وأخذ يدعو الناس لدين الله ، ومن رفض كان يعدمه . فلم يسع الحكومة إلا محاكمته والحكم عليه بالاعدام رمياً بالرصاص ، وتم ذلك ورميت جثته في خندق لاهدي القلاع . ولكن اتباعه ينفون قتله ويؤكدون رؤيتهم إياه وهو صاعد الى السماء . ذلك بالرغم من أن لهم مدفنًا باسمه في طهران . ولما صاحبت الحال نقلوا بقاياها الى عكا وله هناك مزار

وكان ضمن اتباعه أخوان لأب ، اسم كبيرهما يحيى ولقبه صبح الازل . وأما
 الصغير فكان اسمه حسين ولقبه بهاء الله . فخرضا الاتباع على قتل الشاه ، واحداثا
 برادر ثورة ، فالتت الحكومة عليهما القبض وأودتتهما السجن رهن الحاكمة فتدخل
 لصالحهما قنصل الروس فنقيا واستقرا في بغداد وهناك اتفقا على أن يختفي صبح
 الازل ليتول البهاء إن اللاهوت قد حل فيه ثم عرج الى السماء . وفعلوا ادعى البهاء
 هذه الدوى وحاول اثاره فتنة في العجم لصالح الروس فتداركت الحكومة
 العثمانية الامر والتت القبض على الاخوين ونهتهما بعيدا مع بعض المريدين في
 مدينة أدرنة وهناك لم يجدا أمامهما مجالا للعمل فلتفتا الى بعضهما وأخذتا يتعاركان .
 وكان سلاح البهاء أمضى ، اذ أنكر أخاه قائلا إنه صعد الى السماء وليس الوجود إلا
 مدع . وشمر كل منهما عن ساعديه ورزا العالم بكتاب منزل ففرقت بينهما الحكومة
 العثمانية وأرسلت صبح الازل الى قبرص «أو رودس» فمات فيها بعد قليل وأرسلت
 البهاء الى عكا وتبعه ٨٤ شخصا وكان ذلك عام ١٨٦٨

أما كتاب البهاء فاسمه (الاقوس) وهو رسالة بين عربية واجمعية حاول فيه
 النحو منحي القرآن

ولم يلبث البهاء بعد موت أخيه أن رجع من اهتمامه باحتكار اسم البائية لجماعته
 دون جماعة أخيه ، فاسماهم البهائية ، ثم ازداد جرأة فادعى ان مرزا علي محمد لم يكن
 إلا مبشرا بحضوره ، كما أن يوحنا المعمدان كان مبشرا بظهور المسيح ، واكتفى بالمجهود
 الذي بذله الى أن مات عام ١٨٩٤ وهو في الخامسة والسبعين من عمره وخلفه
 ابنه الشيخ عباس (أو عباس افندي) بوصيته على قول ، وبالمرادغة على قول آخر .
 والقائلون بالرأى الثاني يدعون أن البهاء جن من أواخر أيامه ، وكان ابنه يحمل
 كحاجب له ، فاستأثر بالامر واغمدق على الجماعة اموالا فحبب فيه الاتباع وبالفعل
 اسمه (المعلم) هذا في حين كان شقيق عباس يرتع في عالم آخر . فلما مات البهاء
 وحل عباس محله بالقب بعبء البهاء غضب اخوه وسعى ضده لدى الحكومة فضيقت
 عليه حتى اعلان الدستور عام ١٩٠٨ فاطلقت سراحه وتمكن من قضاء خمس سنوات
 سائحا في مصر واوروبا وأمريكا . ولما نشبت الحرب كان في فلسطين وخدم قضية

الحلفاء قاعدت عليه الحكومة الانكليزية برتبة فارس الامبراطورية البريطانية مع لقب سير ، وتوفي في السابعة والسبعين وكان ذلك عام ١٩٢١ فخلفه بوصية منه حفيده لابنته شوقي افندي رباني وهو لا يكاد يتجاوز العقد الثالث من عمره في الوقت الحاضر ، وينازعه شقيق جده على الزعامة

اريد الآن ان ادلى اليك بشيء من تعاليم البهائية. ولكنني اجعل كيف افعل ذلك. فقد سبق ان قلت لك انه التفت حول ميرزا علي محمد بعض اتباع الاسامية الباطنية ، وبالطبع كنت له فوارق تجعله وجماعته حزبا واحدا يخالف الاحزاب الاخرى ، مثل الاكتفاء بصلاة ركعتين فقط في كل صباح مع اقتبال جهة مخصوصة ، حيث يوجد جامع في مدينة شيراز . وكذلك لم يحلوا الاكل في جسد انسان ، وان الثواب والعقاب يتم بالتلذذ او التألم من تذكر ما اقترفه الانسان من اثار الشر ، وان الروح تعود للعالم الانساني مرة اخرى بعد الموت فقط ، والشهر ١٩ يوما والسنة ١٩ شهرا ذلك لان وحدة الله مكونة من ١٩ اقنوماً ، ويحضرن على هدم مكة وبيت المقدس وبقية الاماكن المقدسة ويحصرن تعدد الزوجات في اثنتين (سمعت انهم يقتصرون الآن على واحدة) ويجيزون الزواج بالاخت (ينكر الباييون ذلك)

هذه وامثالها تعاليم البهائية منذ نشأت الى ان تفتحت عيننا عبيد البهاء في رحلته الى الغرب ، فحس اتباعه على تعاليم اولادهم وجعل التعاليم من اصول مذهبه وكأنا اخوته فكرة «الدولية» فالتقى نفسه بين احضانها دون قيد ولا شرط فصرف نظره عن اللاهوت واخذ يقول مع القائلين بتوحيد الاديان وبالطبع اختار البهائية لتكون الدين الواحد وله في ذلك منطوق غريب اذ يقول «كل الاديان اساسها ماوى حتى المجوسية . وبما ان المسلمين يعترفون بالمسيح وبموسى والنصارى يعترفون بموسى ، فالاتفاق بينهم سهل وليس من الصعب الانشاء الى البهائية مع المحافظة على الدين الاصلى. لأن البهائية تحترم دقة الاديان» هذا ما قاله ولكنني لم افهم المتصود منه : وقد سطرته لك لتحاول ان تفهمه بنفسك . يقول مع القائلين بوجوب عمل برامان واحد للعالم يجتمع فيه نواب لجميع امم الارض ، ويطالب مع المطالبين بوجوب توحيد اللغات . ولكنني اشك في انه يقترح اللغة الفارسية ،

ويستعير نظام الولايات المتحدة الحكومي لدى طلب انشاء بيت عدل لكل قرية
ولكل مدينة ولكل قسم ولكل مملكة ، ويطلب تكوين برلمانين اصغروا كبر
يعمل كل منهما لمدة خمس سنوات وتكون الاصوات متساوية . ويطلب انشاء بيت
مال تجتمع ايرداته من ١٩ في المائة من الثروة و ١٩ في المائة من الدخل . الزكاة .
مال من ليس له وارث . ونصف اللقطة التي لها مالك وثلاث الكنوز وثلاث ارث
من ليس له وارث وغرامات الجرائم والجنايات والهبات والأوقاف

ويصرف من بيت المال هذا في اشادة معاهد العلم والمتاحف والمستشفيات
هل ذهبت مبادئ البهائية ؟ اليست هي آراء رجل فهم الانظمة الاجتماعية
فهما ستيما ، وفي ايلة صافية الاديم نحن نكتب له « يونويا » تجلت بصورة مضحكة .
واليك نموذج من كتابات عبد البهاء

« آلهي آلهي قد احاطت اليلة الدماء كل الارحاء وغطت سحب الاحتجاب
كل الآفاق واستغرق الانام في ظل الاوهام وخاض الظلام في غمار الجور والعدوان
ما اري الاوميض النار الحامية المتسعة من الهاوية وما اسمع الا صوت الرعود
المدمدم من الآلات الملهبة الطاغية النارية ، وكل اقليم ينادي بلسان الخافية .
أفهمت ما يريد ان يقول في هذه الجملة ؟ قلبهائية كما سمعت تريد ان تقول انها
تعاليم سماوية تدعو العالم الى الاتحاد والسلام والى نبذ التعصب الديني والجنسي
والوطني والسياسي وتعميم العرفان وانشاء محكمة عامة كبرى تفصل المنازلات
وتشييد القواعد الاقتصادية وتأسيس لغة عامة . هذا ما تستنجه من كتاباتها
الانكايزية التي تواجه بها الاميريكاني . ولكنها تتكلم عن الفروع والأصول
وتجادل على مذاهب المعتزلة والباطنية والقدرية في البلاد الاسلامية .

هل التاريء يعذرني الآن اذا قلت له اني اجهل ماذا يجب ان أقول
في التعاليم البهائية ؟ وحتى النظريات المستجدة في البهائية فانها مرة وليست جامدة .
وهذه محتويات رسالة عنوانها « تعاليم البهائية » طبعت ثلاث مرات لتري بعينيك
كيف تتابع البهائية سنة التطور

محتويات البطاقة المطبوعة سنة ١٩١٣

- ١- تطابق أسس الدين - ٢- وحدت الناس - ٣- مباحث حرة عن الحقيقة
- ٤- السلام العام - ٥- لغة دولية - ٦- مساواة الرجال والنساء - ٧- حل
- المعضلات الاقتصادية بالروحانيات - ٨- محكمة دولية - ٩- تعليم دولي - ١٠
- اتفاق العلم والدين

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩١٩

- ١- أسس كل الأديان واحد - ٢- وحدة العالم الانساني - ٣- منع التحزبات
- بأنواعها - ٤- البحث الحر عن الحقيقة - ٥- السلام العام - ٦- لغة عامة - ٧- يجب أن
- يأخذ كل انسان نصيبه من العلم - ٨- مساواة المرأة بالرجل - ٩- حل المسألة
- الاقتصادية (?) - ١٠- يجب أن يكون الدين سبباً في وحدة العالم - ١١- يجب
- أن يساير الدين العلم والعقل - ١٢- محكمة دولية

ثم محتويات بطاقة سنة ١٩٢٤

- ١- وحدة الله ووحدة الدين - ٢- وحدة الانسان - ٣- وجوب ترك
- التحزبات بجميع ضروبها - ٤- وجوب البحث عن الحقيقة - ٥- السلام العام
- ٦- توحيد لغات العالم - ٧- تعميم التربية - ٨- المساواة بين الجنسين
- ٩- العبادة هي العمل - ١٠- منع الفقر المدقع والغنى المفرط - ١١- ازالة
- الاستعباد الصناعي - ١٢- حاجتنا الى شخصيات معنوية

ومن يدر فقد تضع في المستقبل ضمن تعاليمها أشياء أخرى مثل

وجوب حل الاوقاف الاهلية . طرد الصهيونيين من فلسطين . الغاء المحاكم

اختلاطة . حل مشكلة عمال ترام الاسكندرية . سوق كوترات القطن

ونشر الدعوة للبهائية يتم على نسق التبشير البروتستانتي مع فارق هو أن
البهائي المبشر يحاول أن يلونك بلون البهائية عند اول بادرة تبذر منك . فاذا سألك
مثلاً هذا توافق على تقبيل مقامات الاولياء وقلت لا، ينبهك الى انك بهائي ولو
أفهمته أنك ليست بهائياً، قال لك انك بهائي ، ولكنك مكبر ومن الفضيلة الرجوع
الى الحق

وقد سمعت من بعض مبشريهم أن الدكتور ولسن لم يقدم فكرة تقرير
المصير للدول المتحاربة إلا بعد أن قتلها مجلس البهائيين في الولايات المتحدة بحثاً
وانهم مهدوا لاقتبال الفكرة في الأوساط السياسية الأوروبية . وسمعت أن سعد
زغلول كان بهائياً يعمل بإرشادات لجنّتهم اريسيه في مصر وكذلك فعل مصطفى
كامل . ولهم نشرات تشابه بطاقات عيد الميلاد عنوان واحدة منها مثلاً « الدعوة
البهائية » فإذا تصفحتها كي تفهم ما الذي تدعوا اليه البهائية نقرأ

« قال الأستاذ الكبير (اختر أي اسم تشاء) عندما زرت عبد البهاء عام
كذا ادخلوني قاعة متسعة ضعيفة النور فرأيت في زاوية منها وجه عبد البهاء السبح
يضيء تحت عمامة بيضاء نظيفة فتملكني الخشوع وإذا به يحيني ثم يحدثني
بحديث لطيف كدت التهمه التهاماً ولم اترت عيناه الساذجتان في نفسي بما
أشعر بمثله في حياتي قط » وهكذا الى تنتهي من قراءة البطاقة . فتقرأ في
بطاقة أخرى تحت عنوان « شيء عن البهائية » أقوالاً مثل

« افضى جلالة ملك كذا (او القائد العام لجيش كذا او ملكة كذا او امير
كذا) مراسل جريدة (ضع أي اسم اجنبي تشاءه) بحديث نشر في العدد كذا
أنورخ كذا فقال، ان تعاليم البهائية لا شك مستفادة من وحى آلهي وانا معجب بما
حوته من حقائق . . . » وهكذا الى آخر البطاقة

فهل من يقرأ مثل هذه البطاقة يتوجه الى جلالة ملك كذا او الفيلا مرشال هندنبرج
او ملكة رانجون ليحقق ما اذا كان قد مرت عليهم ولو عرضاً لفظة البهائية !!!
البهائي مسلم بين المسلمين ، مسيحي بين المسيحيين ، ملحد بين الملحدين . فهمه
منحصر في ان يكتر عدد البهائيين بآية طريقة كانت فمثلاً يدعى لك ان بمصر
ربع مليون بهائي فيهم سبعة وزراء ومائتي قاض وان في امريكا خمسة ملايين
وفي انجلترا مليون ونصف ، واذا لم تصدقه فاذهب واحص لتتأكد من صدقه

وبعد بحث طويل يمكنني ان اقول بان البهائية ليست الاجمعية لطائفة
لا تخرج بالاييرانيين الشيعيين ، تتظاهر في الغرب بانها فرع لترويج الدولية في
الشرق وتظاهر في الشرق بأنها تتبع طريقة دينية تجاري معها العلم الحديث

عمر عنایت

تغلغل في الحياة

تغلغل في الحياة ولا تجانب مساوئها قد تموى جميلا
وفرض أن تكون بها علما اذا ما شئت أن تحيى جميلا
ومن خاض الرذيلة في دروس تنزه عن عواقبها عليلا
ولكن الجانب خوف ضعف يزل ويقتدى بعد الذليلا
فخل مصاحب التسبيح يلهو بأوراد يرددها ثقيلا
يعمه النفاق على فساد وقد تمخذ الموى سرّاً زميلا
وكن رجل التسامح والتسامي ولكن أيضاً لتجربة خليلا
فمن رام الطهارة في وجود بلا رجس يروم المستحيلا
ومن شاء الصلاح عليه حتما لينجح أن ينقب مستطيلا
وما أصل النبالة في اعتكاف ولا أن يصغر الحظ الضئيلا
ولكن في اندماج النفس صدقا بدنياها لتسديها جميلا
وما كان الترفع في ثراء ولكن الترفع أن ثقيلا



تغلغل في الحياة إذن وأدرك بأنك ما بها وانظر طويلا
وحاسب عقلك الوانى اذا ما تخلى عن فرائضه بنجيلا
فإن العقل معتزلا شبيه بنجم قد دوى فدا محيلا
وما هذا الوجود سوى شعاع يحجب خلفه ظلا ظليلا
تقائض في اجتذاب واتصال وتأبى أن نفرقها قليلا

احمد زكي أبوشادى

ما أشبه الليلة بالبارحة

من هو العالم منا فنكرمه

الاستاذ الكبير جبرضومط استاذ اللغة العربية والآداب في جامعة بيروت
الامريكية شهرة كبيرة في العالم العربي . فليس لنا اذن أن نقدمه للقراء لأن
آثاره العظيمة تغنيه عن كلمات تكتبها فيه المصور . وقد خص المصور يبحث
طلي هو عبارة عن خطبة . مستفيضة ألقاها سنة ١٨٨٧ في جمعة من شباب ذلك
المصر وشيوخه بحث فيها فكرة اجتماعية كبرى لا تزال المشكلات المنبثة
حفاؤها قائمة في نواحي الشرق الى الآن ، فوضعنا لها هذا العنوان الذي نعتذر
عنه مقدما لاستاذنا الكبير . وهذه الخطابة لم تشر قبل الآن .

* * *

حضرة رئيسي المحترم . وحضرات اخواني الاعزاء . ويا حضرات السادة
والسيدات .

ما انا خطيب ولا ابن خطيب ، انما انا مظلوم ، ظلمني اخواني ولا اشكهم ،
ومكلف كلني رئيسي وله الشكر ان اقف امامكم في هذه الحلقة الموقرة . موقف
الخطيب .

على اني لا اعتذر ايها الاخوان ولا اطلب اليكم ايها السادة الحضور ان
تغضوا الطرف عما تسمعون مني مما لا يقع لديكم موقع الاستحسان فما هذا الا
ملق يتوسل به الخطباء ، وكبر في اطار من زاووق التواضع والانكسار ، فضلا
عن ان كلماتي مرة وقد جرحت من نفسي ، اولا فلا عجب اذن ان تجرح من
أنفسكم ثانيا

من عادة الخطباء منا ، الا القليل منهم ، اذا وقفوا على منابر الخطابة ان يملقوا
من اعجابنا بأنفسنا ويبرقشوا بذكر من تقدم من أسلافنا وما كان لهم من المفاخر
والمآثر ، أو يلبسوا علينا بما عند بعضنا من جودة القرائح وغريب البدائة وسامى
المدارك ، كأنما يريدون أن يسدلوا بذلك حجابا على ما بنا من الضعف ويضربوا

ستارا على ما نحن فيه من التقايد ، يشاغلوننا بكل ذلك عن أن ننظر الى حقيقة أمرنا .

ولا نلومهم في ذلك فما قصدوا الا خيرا ولا أرادوا به الا اصلاحا وفائدة . وكأني بهم يريدون التنشيط ويعملون على تحريك كامن المروءة والغيرة . لان من احس بضعفه وقوة الآخرين تصاغرت اليه نفسه وأخذ الى المذلة والخول لا يبعد أن في هذا شيئا من الحقيقة . الا أن من جهل فاته التدبير ومن زعم امتلاء خزائنه صيما عضه ناب الجوع شتاء ، ومن استناب في مسبعة من الارضين لم يأمن وثبات الاسود ، فاذا نجى بنفسه فقد لا تسلم ركوبته . ومن قائل الرأي التطمين في مواقف الخوف ، والتخويف في موطن الامن والسلامة . وشر من ذلك أن تتغالى بقوتنا ونحن ضعفاء ، أو نقنط وفيما بقية من الرجاء

أطلت عليكم أيها السادة بطنطنة كلام ماله من محصل سوى التمويه والتهويل فاعذروني من هذه الحيشية فقط ولا ترموا بابصاركم عني ، وأسألكم لقاء اعتذارى هذا سؤال أوجه اليكم وهو (من هو العالم منا ؟) والسؤال نفسه هو موضع خطابي . فاسمعوني قليلا يسمعهكم الله ، ولو أن في كلامي هذا بعض المراجعة

من العالم منا

مما تتداوله الالسنه - ولا أظنه فات مسامع أحد منكم - القول بكثرة المدارس العلمية وازدياد عدد العلماء والمتعلمين حتى صار البعض يزعمون مضرة العلم لانه ترك الكثيرين عطلا لا يحسنون عملا ولا يأتون بحركة ، انما هم ينتقلون من مكان الى مكان يشكون من كساد سوق العلم وبخس بضاعته . فبعض يلومون ويدمون ، وبعض يتأففون ويشكون ، وآخرون يعتبرون على الايام وذيرهم يشكون من جائر القسمة بين الانام . وكلهم وإن اختلفوا في نوع الشكوى متفقون على ان العالم في بلادهم خاسر الصفقة لا يرى من مواطنيهم الا تجنبا وإعراضا ولا يرى ذروه إلا انتقاضا وخيبه . على حين انه على عكس ذلك في ذير بلادهم ، فسوقه رائجة وتجارته رابحة وذروه على غاية من الاعزاز والتجلة ، الى ذير ذلك مما يزعمون .

اما سمعتم مثل هذه الشكوى ايها السادة ؟ بل اما انحرقتم احيانا الى القائلين
 بها وجار ينموهم فيما يقارب معناها واستشهدتم على ذلك بذكر كبار العلماء في
 الممالك الغربية وما هم عليه من التجلة واعزاز المنزلة بين مواطنيهم ؟ وذكركم
 ايضا فغاليتم ما يكون من اقبال الامراء والعظماء عليهم والاحتفاء بهم والاخذ
 برأيهم ، ثم عطفتهم بعدها الى انفسكم قائلين « أو مثل هذا يحصل في بلادنا ؟ »
 يزعمون أن العلماء عندكم مطروحون في زوايا الاهمال ليس من يحفل بشأنهم
 او يرد عليهم الصباح ردا نحسنا اذا ما صبحوا . لقد ظلم القائلون بهذا القول
 انفسهم وبلادهم . أما بلادهم فقد تقولوا عنها ما هي براء منه ونسبوا اليها
 مالا تستحقه من الشنعة ، فانها لو انصفوا اشد البلدان مغالة في تعظيم العلم
 وأهله فعامتنا يشيرون بالبنان الى من عنده كتاب بين ظهرائهم لا يخالفون له
 فيما بينهم رأيا ولا يقدمون عليه في مجالسهم أحداً ، فاذا مرض مريضهم لاذوا به
 أو اشكل عليهم مشكل قصدوا اليه أو بدا لهم خاطر فأتحد به . بل قد يطفرون
 إلى أكثر من ذلك فيزعمون فيه القوة على التصرف بعالم الجماد وتأثيره فيه
 رأسا من غير توسط . ويزيدون على ذلك ان الارواح تخف الى خدمته في قضاء
 ما يريد من المصالح والحاجات وان الافلاك تكشفه بما عندها من النوامض
 والمكنونات ، لا تخفى عنه ما تضره على غيره من البشر ولا تكتنه خصوصية
 ما عندها من الاثر ، الى غير ذلك مما لا يخفى عليكم امره ، ولا يفوتكم من اعتبارهم
 العلم والعلماء ، والا لما نسبوا اليهم ما تحسبونهم ضلالا وجهلا وتشددون عليهم
 النكير من أجله تعنيفا ولو ما . فما بلادكم دون غيرها من البلدان في تعظيم شأن
 العلم واجلال الآخذين به والاقبال عليهم ، وحسبكم ماترون من اخواننا ابناء
 الملة الاسلامية وقيامهم على تعظيم مشايخهم واولى العلم منهم على مشهد منكم فلا
 يمر الطالب بشيخه ولو أنه من أعظم ابناء الامراء والوجهاء فيجازه من دون
 ان يتف لديه موقف الاجلال والتعظيم ، بل لا يرى حطة من التبرك بتقبيل يديه
 واستئذانه في حاجة له يتولى هو بنفسه قضاؤها له . حاشا لله ان نتهم بلادنا
 وأهل بلادنا بمسأمة براء منه . فان احتفاءهم بالعالم وأهل العالم لعلى غاية ، حتى

انهم ليودون أن ينتسبوا الى العلم انتسابا غير مساترين في حب التعرف باهله والتودد اليهم ولا بالمتشاكلين عن الاجتماع بهم والتزلف بالبشر والهشاشة اليهم حرصا على نادرة يروونها عندهم وحكمة يقتبسونها منهم وفكاهة يهشون اليها وغريبة يتهاكون على الاحتفاظ بها . وهنا أسألكم ايها السادة ايصح بعد هذا ان نشنع على أهالي بلانا بالغفلة عن العلم وعدم الاكتراث بالعلماء واستثقالهم عن الاقبال عليهم والاحتفاء بهم ؟ عاشا لله إنا اذن لظالمون . هذا ولو انا انحرفنا لتصديق بعض هذه الشنعة لقمنا علينا من حفلتنا هذه شاهد في وجوهنا يشهد ضدنا انا لخطئون : لم اجتمعتم ايها السادة ، ولم أرى المكان يضيق عن ان يسع المجتمعين منكم ؟ اما هو تعظيما لشأن معلم وحباً به واقبالا على مثلى من المتطفلين على موائد المنتمين اليه بمجرد انماء وهم ليسوا في الحقيقة على شيء سوى انهم مقلدون لبعض بعضه ؟ يقال بضاعة فاسدة وأنتم تشكون من كثرة عدد الطلبة ؟ أم يقال إن سوقه غير رائجة ، وهذه مدارس بيروت الكبرى خاصة بالطلبة فضلا عن مدراسها الوسطى والابتدائية ؟ أم يقال بعدم الاقبال عليه والاحتفاء به وأكثر من نصف آباء الطلبة يضيقون على أنفسهم وعيالهم توفيراً لما يصرفونه على بنيتهم من دفع رواتب طالب منهم للمدرسة ومن مصاريف أخرى لا يرون التقدير على بنيتهم فيها ؟ أو ليس من الخطر ان تنهم آباء يبيعون من أملاكهم لينفقوا على تعليم بنيتهم ، أنهم لا يعبؤون بالعالم ولا يكثر تون به ؟ أو ما نظلم أبا نرويه بعدم الرغبة في العلم ، وهو ينفق على ابنه نحواً من اربعين ليرا سنوياً ؟ قيمة تقارب ثلث مدخوله أو تزيد حبا في العلم ، وما هو بالمعلم الا لغة أجنبية يبربر بها على مسجع من والديه ، وياحبذا لو اتقنها كما يجب ؟

اعدلوا ايها المتهاكون عن لوقية في بلادكم وأهالي بلادكم وأتاهمهم بما هم براء منه ، ولا تعجوا في احكامكم ايهم قبل الروية فما هذا انصاف منكم . ومنشأ الخطأ في أنكم لم تدبروا الواقع فنظرتكم نظرة المتسرع وزعتم ان فيما بينكم من العلماء من يشفون في مقدار علمهم على علماء الغربيين وطالبتهم مواظبتكم بناء على زعمكم هذا أن يقبلوا على قوم « ما عرفوا العلم إلا تقليدا » بمثل ما يكون من

الاقبال على أعظم العلماء وجلة الفلاسفة . أين علماءنا ؟ مموم لنا فترى بعدها
 ماذا كان مواطنكم بخسوم حقهم من الاعزاز والتجلة ؟ أين نيوتن الرياضي
 فيما بيننا ؟ ابرزوه الى العالم وأنا أريك من فوق ضريحه نصبا يعلو على النصب
 المنسوب لنيوتن الانكابر . هاتوا نعشا يقل من مثل الرجل وأنا آتيكم بأعظم
 رجالنا وانبلهم مجدا وشرفا يحملون في يوم شديد الحر او في يوم يتدفق سيله
 وتعصف زعارعه فلا يبالون ويشغلهم فقد الرجل عما هم فيه من ذلك جميعه . أين
 لا بلاس او دي لامبير ؟ هاتوا من مثل هذين وأنا آتيكم بمثل الخليفة المأمون .
 فيضن بها ان تقع عليهما عين الغارة او يقرع باسماعهما لفظ العامة والدهماء . أين
 فيكتور هوجو أو اسنكدر دوماس ؟ هاتوا لي من هذين الكاتبين وأنا آتيكم بسيف الدولة
 من جديد الى الوجود وآتيكم بالأمة عن اخرها تعظم قدرها ونجل من شأنها باضعاف ما
 فعل الفرنسيون ، بل أقيم لكل منهما تمثالا بل ابني لكل منهما مزارا على رابية
 مطلة تطلها الأشجار الغضة وتحمدها الناس زائرين اعترافا بفضلهما جيلا بعد جيل ؟
 أين وبستر او بترى من علماء اللغة ؟ هاتوا لي مثل هذين ، وأنا الكفيل
 باقبال الناس عليهما مثلهما كان من اقبال الامريكان والفرنساويين على هذين الفاضلين .
 هاتوا من مثل اديسون الأمريكاني . هاتوا من مثل فراداي او سادي كارنو
 أو جول ، وغيرهم من علماء الكيمياء وأنا الكفيل الا يقوم منا خطيب على منبر
 الا ويفتح مقدمة خطابه بذكر أسمائهم ويختتمها بالثناء عليهم بما لا يثنى بمثله الا
 على الأمراء وأعظم الملوك . أروني أمثال هؤلاء أريك كيف يكون اقبالنا عليهم
 واجلالنا لمقدار علمهم وفضلهم .

فهبلا أيها الشاكرون من كساد سوق العلم في بلادكم وبخس اهله حقوقهم
 من الاجلال والاحترام ، فمن منا العالم احتقر فضله ، وبخس حقه فلم يوفي من الاقبال
 والكرامة اضعاف ما يستحقه ؟ هذا شاعرنا المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي ، فقد
 طار له في بلادنا شهرة لم تطل لفكتور هوغو . فانه لم يبق من قصر في مدينة ولا
 كوخ في قرية الا وعرف اسمه عند ساكنيها يذكرونه بما يستحق من التجلة
 والكرامة علي حين تعامون الفارق ما بينه وبين الشاعر الفرنسي ! فذاك مولده

بياريس وأبوه أحد الجنرالية المعروفين في الدولة ، وهذا والده من قرية شيا وليس لأبيه شهرة الجنرال . هذا كان غنيا وفي الغنى لوحده شهرة وهذا وان لم يكن فقيرا كان متوسط الحال . فلو قابلتم بين احوال الرجائين وعدائهم لحكمتم ان الشهرة لشاعرنا المرحوم في بلاده تزيد عن شهرة الشاعر الفرنسي في بلاده . ولا ينبغي الغفلة عن نسبة البلادين احدهما للأخرى

هذا وطنينا الشهير المرحوم بطرس البستاني . فمن منا إن من خاصتنا أو عامتنا ، من سكان المدن أو سكان القرى والمداسر لا يعرف اسم هذا الفقيه الفاضل ولا له عنده من المكانة ورفيع المنزلة مالا يعطى مثلها لمثل من علماء المغرب ؟ وهذا كاتبنا المرحوم أديب بك اسحق فانه بلغ من الشهرة عندنا ما عرفته مصر والشام والعراق جميعا وكان عزيز المكانة رفيع الجاه حينما توجه ومروقا بالابصار حينما حل ، لم يبلغ شيئا من ذلك ككتب من طبقة بين كتاب الغربيين على الاطلاق فيما أرجح

لا يسعني الوقت ان اذكر لكم من علماء الامة الاسلامية وكتابها من ذهبت الايام باشخاصهم كما ذهبت بمن تقدم . واما ذكرهم فلا يزال فيما بيننا على ممر الايام والسنين .

اسمحوا لي ان اذكركم بالسيد جمال الدين الافغانى وما كان له من التجارة ورفيع المنزلة . فانه قدم الاستانة فلقى من اعظم القوم فيها ما يلقاه من كان في منزله من العلم في الدواصم الغربية ثم رحل منها الى مصر فلقاه أهلها احسن ملقى واقبلوا عليه وايماء اقبال ، ما اظن تخبيا لعالم غربي من طبقة ان يرى مثله من ابناء جلدته ، فكثرت لامذته وكاهم من اعيان البلاد وعظماؤها فكان اذا خرج من منزله رأيتهم يحيطون به احاطة الحالة بالقمر من عن يمينه ومن عن شماله ومن ورأه وكاهم مجل من منزله معظم من قدر علمه ، يحتسب له ضيقه اذا هو اقبل عليه بخطابه .

واخاف اذا عدت بعض المشتغلين في العلم في بيروت وما لهم في نفوسنا من التجارة والكرامة ان اذكر البعض فارمى بغاية ينالني من نسبتها اقله حلق المتروكين وموجدة المذكورين لاني قدمت في الذكر اسما أو نسيت اسما

وإما كتبتنا في العلم والسياسة المعروفين فإهم فيها بيننا طائر الصيت ومزید
التجلة والكرامة . فإذا حضروا في مجلس كان لهم فيه صدره وإذا دار حديثهم
بالأبصار دون سوائهم أو احتيج إلى رأي يستشار بموجبه، توجه الفكر اختصاصاً
إليهم وفي الغالب يكون قولهم فصل الخطاب تنقطع عنده الحجة ولا يطالب فيما رآه
بسند . ويكفينا الإشارة إلى ما يرد عليهم من رسائل كبارنا ونخبه أعياننا فتعلمون
من ذلك مقدار منزلتهم في مجتمعنا العمراني . وإلا فما يتوارد إليهم من المسائل التي
يطلب رأيهم فيها من جميع الجهات . فإن في هذا كما أرى اصدق شاهد على عظمتهم
في النفوس وبالع مكانتهم من الكرامة والاحلال

وأما من جهة فئدتهم المادية وحصولهم على الغنى والرفاه ، فساودا إليه بعد أن أعاد
عليكم سؤالاً وهو « من منا العالم فمعلمه » ، وأنا شدم الله الا تنحرفوا مع الأعجاب
والدعوى وتشددوا على النكير زعماً تصلباً في أنى محترم مقدار علم اخواني أو انى
غير مقدره حقه الواجب .

من منا ثقة في علم حتى يرجع اليه في دقائقه ومتشبات مسائله ؟ بل هل بلغنا
من علم اللغة وفلسفتها وهو العلم المشتغل فيه عندنا أكثر مما سواه ، مبلغ علماء المغرب ؟
لا تأخذكم الانفة فتخوف قلوبكم إلى غير الواقع الحق . من منا في مصاف مكس
مولر أو في مصاف هوتني أو في مصاف روسيو رينان وغيرهم من علماء الانكليز
والفرنساويين والجرمان ؟ بل من منا اذا عمد إلى مقالة يكتبها في هذا البحث لا
يتأد فيها ويستند إلى كتب امثال هؤلاء اذا اراد ان يخرج شيئاً عن حيز المبتذل
السخيف ؟ اناشدكم الحق أن تلبسوا على في الجواب بما يظهر بهرجه عند التمهيص
والانتقاد غير المشوب بالطلاء والتمويه

مالنا ولعلم اللغة . هاته الرياضيات ودعوانا فيها طويلاً عريضة باكثر ما يبلغه
عرض أعجابنا احياناً بؤمنا وانفسنا . فمن منا بلغ فيها غير الحد المتعارف من
كتب الجبر واقليدس وبعض الشيء في المثلثات وقطع المخروط على ما في الكتب التي
اعتنى بها العلامة الدكتور كرنيلوس فاندليك ووضعها بين أيدي الطلبة

هذا علم التمام والتفاضل وهو من ضمنها ، وكثيرا ما يرد ذكره على السنتنا لكن
منها واعجاباً . فمن منا اتقن مسائله فخرج فيها عن رتبة التقليد ؟ بل من يتجاسر

منا على الدعوى بامتلاك ناصية هذا العلم على ما هو في أبسط كتب القوم ، أو إن يضع نفسه ، وإن ملأت الدعوى جميع تجاويف دماغه ، ووضع كلارك مكسول وطمس أمثالهما ، بل وفي منزلة تنحط بدرجات عن منزلتهما

مالنا ولعلم الفلك وما بلغ فيه ذروة من الغربيين ، فربما نعتذر عن انفسنا ان ليس لنا من الوسائل والآلات ما يمكننا مما تمكن القوم من الوصول اليه ومعرفة مظاهره .

لا أحب ان أسألكم مفصلاً عن كل علم فما أظن الوقت يسعني لذلك ولهذا اكتفى بالسؤال اجمالاً — من منا الثقة في الجيولوجيا أو الفيلولوجيا أو الانثروبولوجيا أو الزولوجيا ، فيرجع الى رأيه في مسائلها وينتهي اليه سندها — من منا بلغ في هاته العلوم جزءاً مما بلغه أهلها من الغربيين كالسر تشارس ليل والعلامة برون سيكار وأورون ، وولاس . وتيلر ودوكاترفاج ، وهكسلي ، ودارون ، وغيرهم كثيرون من علماء الأمم الغربية

من منا بلغ من العلوم العقلية والادبية مبالغ لوك وكذنت والمطران تيلر وهيغل والبرزدنت مكاش وأمثال هؤلاء من الفلاسفة والحكماء ؟ من منا بلغ مبالغ ستوارت مل وهربرت سبنسر وهوسيو لا كونت وغيرهم في علم العمرانية والاقتصاد ؟ بل من يعرف من مبادئ هذين العلمين الاشياء لا يذكّر نظره عرضاً في كتب القوم فاولع بالتعريض فيما عرفه يغالى به وربما لا يكون ادرك حقيقة تذكر ولا حصل له مندف في ذهنه صورة معينة ، فكان على غير هدى فيما طالع ولا تحقيق فيما يعرض بذكره في احاديثه ومجالسه .

لا تزعموا اني اوجه مر كلامي هذا الى ما عندنا من الاستعداد العقلي لادراك هذه العلوم التي عدتها فازعم ان ليس لقومي من الاستعداد لتحصيل هذه العلوم كما لاولئك . انما أنكر أنا بلغنا فيما حصلناه مبالغ القوم وما من اجله لم مالم من عزيز المنزلة ورفيع المكانة في الدولة وبين مواطنيهم من الشعب والامة على العموم . إن العلوم التي ذكرت من تقصيرنا فيها وعدم بلوغ أحدنا فيها مبلغاً مذكورياً انما هي علوم نظرية تهذيبية . على ان هنالك علوماً اخرى عملية آلية كالجغرافيا

وتواضعها من الرسم والمساحات والهندسة العملية من بناء القصور والجسور المعقدة
 وهندسة الخطوط الحديدية أولاً ومد قضبانها وإدارتها مع ما تقدر به نفعاتها ثانياً
 ثم معرفة ما تقدر به إراداتها إذا تم أمرها ثالثاً ، وحفر الترع والخارجين والانفاق
 تخترق قلوب الجبال وتسهل سبل التجارة والمعاملات ، فهاته جميعها علوم نحن
 نخلو منها والافن منا المستطيع تخطيط طريق الى الغرات فالهند وتقدير نفعاتها
 والمدة التي تلزم لاتمامها ثم حالة عمران البلاد فيما بعد ذلك وكيفية الإيرادات ، وينظم
 في كل ذلك لأئحة تعقل او تقريرا يتصور منه صورة جلية واضحة . من منا يحلم
 في أن يقدم على مثل اعمال الموسيوى لسبس ؟ بل من منا يعرف جغرافية بلاده
 وأن يرسم مصورها على حقا غير متلد او ناقل عمارته النجوم فتكون خزانته الخازنة
 المعول عليها وتقريراته التقريرات التي يرجع عند التحقيق اليها من هيئة الارضين
 وانواع تربتها وما يصلح للزراعة منها واي الزراعات أكثر غلة في كل من البقاع كل بقعة
 على حدتها وما هنالك من الجداول والانهار والمواقع المهمة للمراکز الحربية والتجارية
 وما تقدر به غلة كل بقعة الى ما يماثل هذا ما يقتضي معرفته اولا قبل استغلال تلك
 الغلات واستعمار ما هنالك من الضياع الغامرات .

الخير في القول ان ليس منا الحاضرين والغائبين من يثق بنفسه ويدعى مثل هذه
 العلوم العملية والبراعة فهي بما يؤهلها لأن يقوم مقام الثقة الخبير وتحقيق القول بالفعل
 اذا عهد اليه زمام التدبير والعمل ، ان من حكومتنا السنية او من شركات وطنيه .
 واذا كانت هذه حالتنا فما لنا ندعى انا مظلومون مبخوسو الحقوق في علمنا غير موفي لنا
 من مواطنينا ما نستحقه من التجارة والمنفعة ازاء اشتغالنا بالعلم . ألا إن كل هذا لدعوى
 العريضة انما هي من سفاسف العقل وهذوه حملنا عليها الاعجاب من جهة ، وجبل منزلتنا
 العلمية من جهة أخرى فاني يصح ان لم يعرف أكثر من آداب لغته ولغة اجنبية مضافا الى
 ذلك بعض مبادئ العلوم الرياضية والطبيعية احيانا ، وأحيانا من غير تلك الاضافة ، ان
 يطلب لنفسه تجارة كبار العلماء الغربيين ومنزلتهم وتسلم زمام الأمر والنهي في قومه وأكثر
 من ذلك ان ترمى اليه الأغنياء باموالها يتصرف بها من دونهم فيما يعود عليه وعاليهم على
 ما يزعم بالنفع الدائم ، فاني له كل هذا الاستحقاق ومتى طلب مثل طلبه هذا أقرانه

من الدراسين في البلدان الاجنبية ، بل يطلبه اوسعهم علما وأوسعهم قدما في النفي والثروة والفضل والسياسة . فما هذه الا وساوس يوسوس بها الغرور والاعتداد بالنفس وجهل بالعلم ، وبما يجلب من اجله العلم والعداء . ان العلم له ثمرات يجلب من اجلها وتنصرف اليه الاوطار وتطمح النفوس حبا بتحصيلها . وثمراته انما هي تهذيب العقل والقلب من جهة ثم اصلاح حال المجتمع العمراني بما يكون من سعادة افراده ورغد عيشهم من جهة اخرى . فاذا لم تتحقق تلك الثمرات لم يكن ثم فارق بين العلم والجهل ولم يكن العلم مطمحاً لانظار الخاصة والعامة ولا اهلا ان ينظر اليه . بين السكامة والاعظام بل لم تكن له مزية اصلا على الجهل فيحتفي به من اربابها . والعالم ان لم يتوسم فيه خير ، ويؤمل منه مع العلم صلاح تتحقق فيه الآمال من الحصول على ثمرات العلم ومنافعه ، لم تكن له مزية فضل على الجاهل ولا هو بالمتحقق ان تشخص نحوه الابصار او تلقى اليه مقاليد الامر والتدبير في شيء اصلا . ان العالم لا يخرج في علمه عن احدي حالتين اما ان يقتصر على التهذيب وإنارة العقول بواسطة التعاليم والكتابة ، وحكمه حينئذ حكم من يبيع اصناف المأكولات واطايب الحلوى ، وفهاته يستلذها الذوق ويقبل عليها كل على حسب قابلية التذاده وقوة هاضمته « وكثرة دراهمه » وتلك يلتذ بها العقل أيضا وهي غذاؤه الذي تتوقف عليه حياته المعنوية وتتفاوت الاشخاص في الاقبال عليها والرغبة فيها تبعاً لتفاوت قواهم العاقلة وقابلية اذ هانهم لفهمها والالتذاذ بها كما لا يخفى . واما ان يتجاوز ذلك الى ما وراءه من تسهيل سبل الاكتساب . وتكثير اسبابه وحوكمه حينئذ حكم المروج في المصالح والصناعات واقبال الناس عليها يكون كقبالهم على اولى المكاسب والصنائع والتجارات ونها لكهم على اصحاب البنوك والمقاربات أو على أهل الدولة لما يطمع في الاقبال على كل من الكسب وتحصيل ما يؤتم به رغد العيش وهناؤه . وعلى قدر اقبال الناس عليه في الحالة الاولى حبا بما عنده ، اعنى على قدر كثرة تلامذته أو قراء تآليفه تكون مكانته المادية من تحصيل النفي واليسار والتمتع بالحياة الدنيا من حسن مأوى وكسوة وطيب معاش وعلى قدر انتفاعهم بثمرات علمه في الحالة الثانية يكون اكتسابه وتحصيله الدرهم والدينار .

اما اذا لم يكن لامله من ثمرة فلا هو استاذ ماهر تقبل عليه التلامذة ولا هو كاتب مجيد يقبل الناس على قراءة مصنفاته ، فلا يؤمل عوضاً عن ثمرات اشتغاله بالعلم ولا يطمع في شيء من الكسب المادي فما حكه حينئذ الا حكم الجاهل وخير له ان يتعاطى اسباب الكسب من أبوابها شأن غيره من الناس ولا لوم له حينئذ الا على نفسه . فلا يحق له تلوم اهل بلاده وريهيم بالغبلة عن العلم وعدم اعتدادهم به وبأهله . كما لا يحق لبائع الحلوى ان يشكو منا عدم التذاذ القوم بما عنده ويريهيم بمقدار حسن الذائقة اذا هو لم يستطع اجتذاب الزبائن والتنفق اليهم بما عنده والحق أن افراد المجتمع العمراني ما جنت بهد ولا اخذها من الشيطان ولا عرض عليها الخرف ولا نقصان الدم في البدن والدماغ حتى تقبل على رجل يزعم انه عالم أو يشتغل بالعلم ليس له من المال والجاه شيء يذكر ولا رأيت من ثمرات علمه شيئاً ، فلا هو بالكثير المصنفات والآليف ولا هو بالمتبحر على العلوم العملية ولا من البارعين نظرياً فيها ، ولا عرفت منه أيضاً سعة النظر وحسن التدبير والسياسة فترى اليه مقاليد امورها وتحكمه في مصالحها وشؤونها وتنقده الاغنياء اموالها وهي ثمرة اتابها وكدها يتوسع فيها في أحوال دنياه ورغد عيشه ليس الا لكونه يزعم انه مشتغل بالعلم . ان ذلك لا يكون ولا كان في مجتمع من المجتمعات العمرانية اصلاً .

انى لا عجب من زاعم العلم يطلب ملء ايدى الناس من غير ما يرون منه عوضاً ولا يحصلون منه على فائدة ويطلب تجارة وجاها وهو لم يأخذ بالاسباب المؤدية إلى ذلك من الاحسان والتفضل على الناس ، ولا سعى في اسباب اسعادهم ورغد عيشهم اما رأساً او بتكثير اسباب معاشهم وتسهيل سبل مكاسبهم ولا عرف ايضاً ان تقدم من غائلة او صرف عنهم مكروها أو انتشلهم من ورطة ولا كفاهم مؤونة تعليم بنينهم وتهذيب عقولهم ولا ولا ...

كلانى مرة وكنت اود ان لا اسمعكم ايها الا أنها فارت فؤرتها في نفسى بالعلم استطع ردها ، لان الطلبة في بلادنا والمتبجحين بالادب آخذينهم الاعجاب مأخذ ، فيزعمون انهم اذا صرفوا في احدى المدارس بضع سنين اصبحوا أهلاً لأن يعهد

اليهم باعظم المهام والمناصب وبتسلية مقاليد الامر والنهي في السياسة والدين والصناعة
 والتجارة والزراعة ولو كانت حلتهم الاجتماعية بهما كانت ، بل حتى المستوردون
 المتجملون منهم يصبح احدهم بحسب أنه صار أدلا لان تسلمه الاغنياء اموالها
 وتعرفه الوجهاء واصحاب الامر والرياسة من عدادها والا فقد بنحووا العلم حقه .
 زعم جر اليه الغفلة عن طبيعة الوجود وانصل اليه الجبل بالواقع وعدم تخصيص
 مسموعات الاخبار عما هو كثر في غير بلاد والوقوف على كنه حقائق تلك المسموعات
 فهو يسمع ان العالم عزيز المنزلة في الملك الغربية و يسمع ان العلماء اصحاب جواهر
 وتبلي في قلوبهم يستشارون في عظام الامور و يطالب اليهم ادارة المهام من سياسية
 وصناعية وتجارية الخ فيظن ان العالم العزيز ما كان نفاير عليه والعلماء المنظر اليهم
 المسموعة كتبهم المتبعة اراؤهم انماهم من مثل طبقتهم فيمكن منه هذا الوهم ويدخله
 الاعجاب فهو يستزيد من طلب البيان وكشف الواقع عن حقيقة الامال . والحق
 غير ما سمعه والواقع ابعد مما في ذهنه صورة منه . فان العالم العزيز الجانب انما هو
 العالم الصحيح المفيد ، المجتني ثمراته ، الظاهرة آثاره ، في تحسين شؤون المملكة
 وزيادة قوتها ومنعتها والعائد على افراد المجتمع بما فيه الرفاه وصالح المال وتكثير
 وسائل الایجاد والاكتساب . والعلماء الجبل من قدرهم انما هم البالغون من الدرجة
 التي لا يحكم بمثلها في بلادنا في الحال والحاج اليهم في حل ما يعرض من مشاكل
 العمرانية فضلا عن انهم من الاغنياء في النادر عما في ايدي الناس لا يطلبون كفاف
 العيش من اكياس الاغنياء والفقراء ولا يخطر لهم في بال ان يطالبوا الاغنياء
 بوضع رؤوس اموالهم بين ايديهم لمجرد الزعم بانهم علماء يحسنون بها التصرف
 والتدبير اكثر مما يحسنه اصحابها او لانهم ينفقونها في وجهتها وهي غير الوجهة
 التي ينفقونها هم « اعنى اصحابها » بها لانهم ينفقونها في ترف العيش والملاذات البدنية
 وليعلم ان الطالب ولا سيما اذا كان قديرا لا يؤهل لمجرد طلب العلم وتحصيل شدة منه
 للتجارة والرياسة ، ولا يقع لديه مقام شافع عند الاغنياء والممولين بما يوجب عليهم
 تحكيمه في اموالهم حتى ولا في مشورته فيما يوجب نفاؤها وكثرتها ، الا اذا حصل من
 العلم ما يحتاج اليه يوميا في شؤون المجتمع العمراني وظهرت ثمراته ، من جر المنفعة

إلى أفرادهم ظهوراً أبين من الشمس في قائم الظهيرة . ولا يطمع أيضاً في انهبال
الاموال عليه ازاء علمه الا اذا كان ما عنده من العلم مرغوباً فيه عند الأكثرين
وارغبة فيه مستمرة لا تنقطع ، فتكون يومئذ لا تكون اياماً . كأن يكون عدد
المتخرجين عليه او عدد قراء مؤلفاته . هذا اذا كان علمه تهذيباً قاءة ثمراته في
تهذيب القوى العاقلة وتقوية مداركها وفي دماء الاخلاق وازدياد الخرف والكياسة
وبلاغة اللسان المرغوب فيها في المجتمع العمراني . وعليه أن يتحول في كلما يؤثر به
الى بلوغ المراد من ذلك ، كما يتحول غيره من أهل البيئات النافقة في جر الناس
اليه او الاقبال على بضاعته

وأما اذا كان علمه عملياً فعلياً أن يبين لمعامله بياناً واضحاً ما يتحصل لهم من
الربح ويتوفر لديهم من المنافع اذا هم علموه . على أنه اذا قعد به الاعتجاب والكبر
او شيء آخر مما كان فليست يسهل في ما ذكرنا ، فهو يزال الى ما شاء الله خالاً قير الحال
يشكو من محاباة الايام ويذم من كساد سوق العلم ولا من يعيره اذناً صاغية الا
تهكما عليه واستخفافاً به . ولسوء الطالع ان كثيرين من المدعين بالعلم يؤمنون ان
في مجرد اشتغالهم بالعلم ما يوجب على الاغنياء مدهم باموالهم جزافاً وعلى أهل الحل
والعقد استشارتهم في امرهم وتحكيمهم في فض المنازعات والذهاب في تغيير اخلاق
الناس وعوائدهم على ما يشاؤون ويتوهمون وهم مع ذلك قليلو عدد التلامذة قليلو
المؤلفات اذ ليس لهم منبها شيء ، وفي الوقت نفسه اكياسهم افرغ من صواع النساك
وعقول صغار الصبيان . واذا لم يروا انفسهم في هذه الحالة كبر عليهم الامر واخذتهم
الانفة من جهل الناس وكساد بضاعة العلم عندهم ، فيرون الاغنياء بما يخطر في
ضعيف خواطرهم وأهل الوجاهة والرياسة بما يبدو لعلمهم الممدوق ونظرهم السكايل
وما ذنبهم الا تقصيرهم وما شكواهم الا على انفسهم . لا يكبر عليك اذا خالفت بعض
المألوف من الافكار واخذت بناصر أهل الغنى واصحاب المال والعقد عندنا على
كثيرين من الادباء المشتغين بالعلم . فمتى عرض أحدهم لأئمة على اكابر اغنيائنا
ابان لهم فيها بياناً شافياً ما يستطيع ان يجرب به من التدبير في أملاكهم ، مثلاً وما قد
يتخذ من الوسائل مما يوجب ازدياد غلتها كتمليك عشرين في المائة ، ولم يمدوه

بالمال اتمتضي لذلك وركلوا اليه امر استغلالها والقيام على تدبيرها أيضاً ؟
 وحتى ارتأوا رأيها في مهم من مهمات مجتمعتهم وأتوا بالحجج الدافعة على صدق
 ما ارتأوه وأعرض عن رأيهم واستخف حينئذ بعلمهم وحتى كانت تأليفهم خارجة
 عن حد المبتذل ولم يقبل عليها القراء اقبالهم على اطائب الحلوى ولذيذ المشروبات !
 ارنا ثمرات علمك ايها العالم فنريك اقبالنا عليك واحترامنا من مقدار علمك
 وفضلك . ارنا حسن رأيك فينا وفضل عائدته علينا فنريك انقيادنا لامرك
 واعظامنا من شأنك وكرمنا في مكافأتك . ارنا بلاغة حديثك فنريك مقدار
 إعجابنا بك . ارنا محيط حكمتك فنريك مزيد اجلالنا لك وامتداد اعناقنا اليك
 لكن ارنا من خمولك فنريك كيف يكون خذلانك . ارنا من ادعتك فنريك
 من استخافنا بك . هات ما عندك فنرد عليك من نفس بضاعتك ، فان لم يكن منك
 الا شقشة لسان في بعض المجالس فلا تؤمل إلا بعض مواعيد وهذا كغير عليك ، وإن
 تطاللت الى أكثر من ذلك فلا تعجب اذا خابت بك ظنونك فرجعت
 بخفي حنين .

نعم على فرض انا بلغنا في علمنا مبلغ علماء الغربيين من غير تقليد لهم ولا
 اخذ عنهم ، فلا يؤمل علمنا ان يحصل من ثمرات علمه المادية مثلاً بحصله عالم غربي
 من طبقته . نعم لا ينقصنا عنه بين قوما ما يكون من التجلة والكرامة التي هي له
 بين قومه بل ربما يكون لنا من ذلك نصيب اوفى من نصيبه لما فطرنا عليه كما ارى
 من حب العلم واجلال العلماء ، الا ان نصيبنا من الماديات بين قومنا لا بد وان
 يكون اقل من نصيبه بين قومه . وسبب ذلك الفرق ، ما بين البلادين في الغنى والجاه
 وكثرة الساكن . فعلمهم اذا اشتهر يدرس عليه الألف من الطلبة مثلاً وأما عالمنا
 فلا يدرس عليه الا نحو ربع هذا العدد او اقل من ذلك . والسبب ظاهر لما في
 بلاد من كثرة الساكن وقلته في بلادنا ولما هي عليه مدائنه من الازدحام وارتفاع
 قيم الأعمال ، شيء ليست عليه مدائن بلادنا . ومن المعلوم ان من يفيد الألف
 يستفيد منهم مادياً « اراء افادته لهم » اربع مرات ما يستفيد من يدرس عليه ربع

هذا العدد . وكذلك مؤلفهم فانه يجد الألف من القراء لكثيرتهم تبعاً لكثرة
الساكن ، يقبلون على اقتناء مؤلفاته بينما ان مؤلفنا لا يجد الا المئات . فبالطبع اذن
لا يكون حال عالمنا من الرفاه وسعة العيش كحال عالمهم فلا يغفل عن ذلك والا البس
علينا الامر واخطانا في الحكم فزعمنا مثل ما يزعمه اكثرنا الآن من عدم اجلال
مواطنينا شأن العلم والعلماء أو انهم ينقصون في ذلك عن الامم الغربية .

ومثل ذلك يقال في شأن الاطباء والمهندسين والمخترعين ومن شاكلهم
وانت منهم من علماء العلوم العملية فالطبيب الذائع الصيت في لندن يكون نصيبه
من الفن والجاه أوفر من نصيب الطبيب الذائع الصيت على نسبه في بيروت ،
لما بين لندن وبيروت من التفاوت في عدد الساكن ومثل ذلك المهندس والمصور
والموسيقي والنحات والمخترع وكل ذلك لما تقتضيه طبائع الوجود .

لا احب الافاضة بعد فيما قد ينال من هذا القبيل الا اني اعود فاعتذر عنكم
ايها الطابة والمشتغلون في العلم على عدم بلوغكم من العلم ما يبلغه غيركم من علماء
المغرب . ولو لم يكن ثم لكم عذر الا ان أولئك من شعوب غالبية وانتم من شعب
مغلوب وان أوطانهم غنية كثيرة الساكن ووطنكم انتم فقير قليل الساكن ، لكفى .
فكيف وقد حكمت احوال العمران والسياسة ان يكون الكثيرون منكم من
القراء المتجملين ومن متوسطي الحال في الغنى والوجاهة ولا بد اذن من ان ينصرف
همكم لتحصيل ضروريات معاشكم على طريقة شريفة تليق بكم أولاً . ومن
يفكر معظم أوقات فراغه في تحصيل اسباب معاشه من الطعام والملبس والسكن
والادخار أيضاً للمستقبل خوفاً من فاجئة تفجأه من عالم الغيب لا يمكنه من
توجيه افكاره جميعها واستغراقها في موضوع بحثه اذ بينا هو مستغرق في ابجائه
آنا يتمثل امامه شبح الجوع كاسراً عن انيابه يهدد بزيارة اذا ظل في غفلة
هذه ، فيهب مذعوراً ويقطع به عما كان يحاوله فتلفت منه سلسلة افكاره ما زال
يعاني طويلاً قبل ان يمكن منها ويملك قيادها . فما كين انتم ومن لا يتدركم
فهو غافل أو قاس عديم التحقيق بعيد عن المواجهة والشعور مع الآخرين .
وهناك أمور أخرى تشغل افكاركم وتبعدكم عما تحبون من متابعة ابجائكم

ومنها في الراجح عندى ازدراء الاغنياء بكم ممن هم اكثر مالا منكم وتنفتحهم
عليكم فاذا حضرتم اتفاقا في مجلس من مجالس هؤلاء وظاهركم ظاهر الفقر - وقبحه
الله ما اسجدوا شذوطاته - تناولتكم السنتهم به يسوؤكم اذا لم توافق نظراتكم وجهة نظرهم
وأكلحوا لكم وجودهم بدلا من المشاشة والبشر «ولا تلوهم وهم فياته طبائع الوجود
العمرائى» حتى اذا ما انصرفتم لا تنصرف عن اذهانكم صورة ما لا تقيده فتفر
فترات نفوسكم وتطلى على مساوئها من تصورات اذهانكم فيغيب وراءها كثير
من مدركاتكم فلا تعود تبين الا بعد ان ينمى طمو هذا التيار - وربما حاتم
عليهم حقدا في صدوركم والحمد (ميكروب الفكرة وآفة صحة النظر)

ومنها أيضا انكم بينا انتم تشغلون في علم هو أحب اليكم من غيره واليط بلبكم
وقد وطنتم انفسكم على متابعة مسائله حتى تصلوا فيه الى آخر ما يوصلكم فيه
البحث وقوة استعدادكم يعود فيخطر لكم أنه ربما قل الاقبال على هذا العلم «وان
لم يكن هذا هو الواقع» فتهجرونه الى غيره واذا طعمتم بامساك بطيختين بيد واحدة
فلا يبعد ان تتفالت كلتاها من أيدينا

على أن اعتذارى هذا وان قبلناه من غير اعتراض عليه لا يقاننا بصحته
لا يبرر ولا يمحوا خطأنا الفكرى في تقدير علمنا وعلم الغربيين ونزلة العلماء عندهم
ونزلتهم عندنا، كما أشرت الى ذلك فى كل مامر والرجوع عن الغلط خير من اتمادى
فيه. ولى الامل أن لا تمر سنون كثيرة قبل أن تنجلي لدينا الحقائق الخفية فنطبق
أفكارنا وأعمالنا عليها

واقدم الآن مزيد الشكر لرئيسنا الموقر ولاعضاء الجمعية الافاضل ولكل
واحد من الحاضرين سادات وسيدات والبلام

جبر ضوط

بمطبعة

الوراثة

١ — حقائق عامة في الوراثة

١ — معنى الوراثة في العلم

الوراثة في الشرع شيء وفي العلم شيء آخر ، فلذلك يخالف له ابواه مقداراً من المال مثلاً ، وارث شرعي ، وهذا لا يدخل تحت بحثنا الحاضر . واما الذي يرث صفات محدودة معينة تميزه عن غيره ، فهو وارث بالمعنى العلمي الصحيح ، والارث في الشرع يكون منفصلاً عن الوارث ولكن في العلم هو الوارث وعلى هذا يعرفون الوراثة الطبيعية (العلمية) بأنها « العلاقة التكوينية بين اجيال متعاقبة » (١)

بعض الحقائق المشاهدة في الوراثة .

لقد ادت مشاهدات العلماء وملاحظاتهم الى ان هناك شبيهاً بين السلف والخلف . والى ان هناك دائماً وابدأً فرقاً بين فردين من نسل واحد . ولاحظوا ايضاً ان فرداً من نسل قد لا يشبه السلف المباشر الذي انحدر منه ، ولكنه يشبه سلفاً ابعد في التقدم واعرق . كذلك ادهشتهم الصفات الناجمة من تزاوج فردين من نوعين مبتاعدين .

وسنشرح فيما يلي شيئاً مما شاهده العلماء واختبروه مما يتعلق بهذه المظاهر الطريفة :

ب — الشبه بين السلف والخلف

اذا قارنت ابناً بابيه وجدت بينهما شيئاً من الشبه (الا في احوال سنائي على ذكرها) كأن يكون لون العينين مثلاً ولون البشرة والطول وما الى ذلك من الصفات الجسدية في الابن مثلها في الاب . وكما انحدرت على سلم الارتقاء وجدت هذا الشبه اكثر واكثر ، لاسيما في حيوانين من عمر واحد . الا ترى انك قد لا تستطيع

التفريق بين كلب وفرد من نسله حين يصبح الفرد في عمر ابيه ؟ واذا انحدرت الى ما دون ذلك فقد لا ترى عينك فرقا كما هي الحالة في افراد الذباب مثلا . ولكن هذا التقارب في الشبه لا يمكن بحال . من الاحوال أن يكون تاما اذ لا بد مهما قرب الشبه من وجود تباين وتغاير .

ومن المهم ملاحظته أن النسل لا يرث من سلفه الصفات نفسها ، وانما يرث الاستعداد لتوليد تلك الصفات في وقت معين . ولا يقتصر هذا الميراث على الصفات الكبيرة العامة فقط ، بل قد يرث نسل من سلف شامة أو بعض شعرات طويلات . ومن الصفات الغريبة ايضا ما يكون وراثيا وذلك مثل « الاصابع القصيرة الجذمورية » أو الانحراف في عضو من الأعضاء .

ج — الوراثة الكامنة

إن بعض الصفات لا تظهر في الفرد حين يولد . ولذا فقد يظن أنه لا يشبه سلفه في هذه الصفات . ولكن ذلك الفرد لا يلبث ان يظهر تلك الصفات في حينها فانحرف مثلا يولد بلا قرنين ولكن مع الزمن يتولد له قرنان كما لأبيه . وهذا يثبت بنوع خاص ما سبقت الاشارة اليه وهوان الصفات لا تورث ولكن الاستعداد لظهور هذه الصفات هو الذي يورث (١)

د — الوراثة المنحرفة . (٢)

قد يولد فرد ذو صفات لا تشبه صفات سلفه المباشر ولكنها تشبه صفات كانت قد ظهرت في سلف قد انقرض منذ زمان بعيد . وتفسر هذا بان هذه الصفة بقيت كامنة الى ان ساعد على ظهورها عامل او انها ظهرت عرضا في هذا الفرد . وقد يشبه فرد سلفا له على غير سلسلة انحدره كالشبه بين غلام وعمه هذا الشبه يرجع السبب فيه إما لانهما منحدران من أصل واحد أو كسبها هذه الصفة المشتركة ، واما لانهما كانا معرضين لعامل جوى واحد .

ه — تلاقح الصور المتبانية .

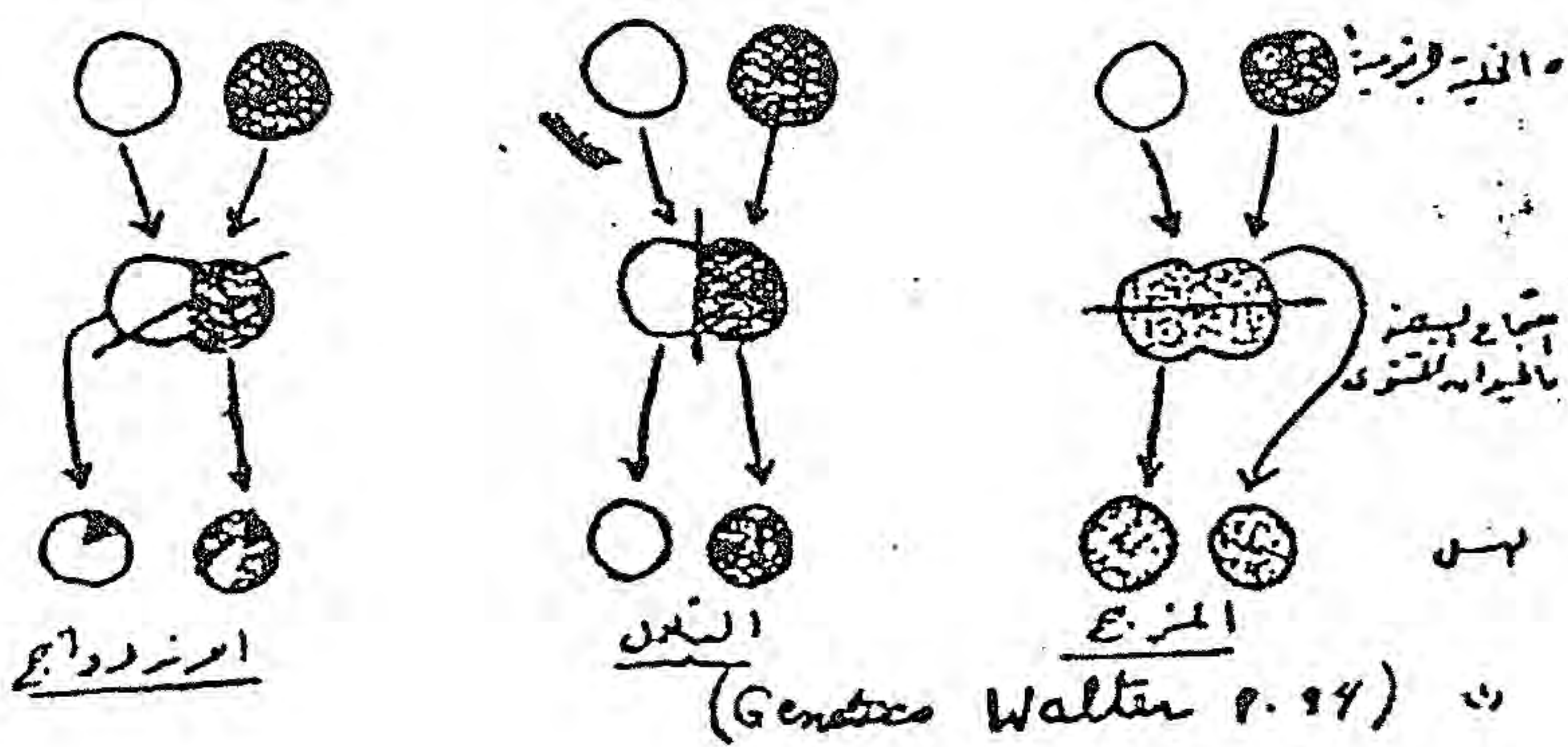
ان تلاقيح الانواع المتشابهة ينتج فرداً يشبه ابويه كما هو الواقع في كثير مما نشاهد . ولكن تلاقيح الانواع المتبانية في الصفات المتقاربة في النسب لدرجة محدودة ، ينتج احد هذه الاختلافات : مزيجاً أو تبادلاً أو ازدواجاً

(١) المزج . اذا تزوج رجل ابيض اللون من امرأة سوداء كان نسلهما وسطاً بينهما بمعنى انه يضرب الى السمرة . وهذا ما يقع حين تزواج الحمار والفرس فينتج البغل المعروف ، وهو في غالب صفاته بين الحمار والفرس طول اذنين وذنب وقامة وما شا كل ذلك مما هو مشاهد

(٢) التبادل . لكن بعض الصفات لا تورث بالمزج . فاذا كانت عينا الاب زرقاوين وكانت عينا الأم سوداوين مثلاً ، فان عيني الابن اما ان تكونا زرقاوين أو سوداوين ، ولا تجمع بينهما . واذا زوجنا فأراً أغبر اللون بفأرة بيضاء ، فان جميع افراد نسلها الاول يرثون اللون الاغبر .

(٣) الازدواج . هب أننا زاوجنا كلباً أبيض بكلبة سوداء ، فان نسلها يكون اسود اللون تتخلله خطوط او بقع بيضاء أو بالعكس . ويغلب هذا في كثير مما نرى من الاحوال .

ولنمثل لهذه الاختلافات الثلاثة بالشكل الآتي .



و — قانون هيكل في التكوين الحيوى

يلاحظ من هذا أن فرداً من أى نوع حيوانى أو نباتى يرث صفات السلف الذى ينحدر منه وان هذه الصفات تتكامل في هذا الفرد حتى يبلغ منها اقصى حد ممكن . هذا الذى ألهمه نظر العلماء الى الوراء فتتبعوا تطور الجنين وظهور

صفاته حتى جاؤوا على الحقيقة التي كشف عنها هيكل ، حيث قال ان تطور الفرد عبارة عن تطور النوع كله بصورة ممتضبة سريعة .

٢ — اساس الوراثة الاختباري

١ — قانون مندل في الوراثة

كان عام ١٩٠٠ عاماً منتجاً في درس الوراثة ، اذ فيه توصل العلماء الى تقرير اهرم الحقائق فيها .

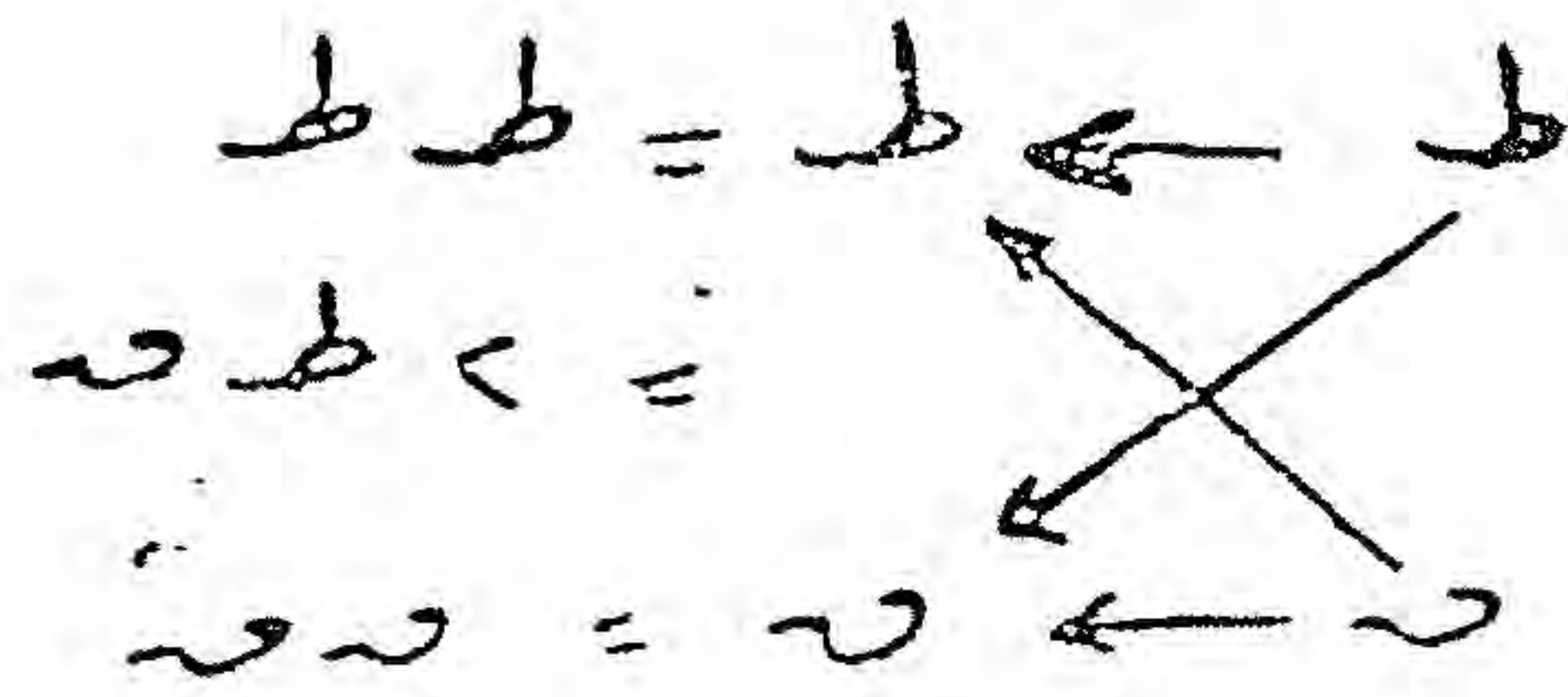
اذاع مندل نتيجة اختباراته سنة ١٨٦٦ ولكن هذا لم يسترع انتباه احد حتى توصل كل من « تشر ماك » « وكورنس » « ودي فريس » على انفراد الى ما توصل اليه مندل ، فرجع العلماء الى أبحاث مندل واتخذوها قاعدة حتى دعى هذا القانون في الوراثة بقانون مندل .

ويتلخص ما قام به مندل في انه لتتح نوعين من نبات لبلبل . منهما صفة تختلف عن صفة مقابلة لها في الآخر . فظهر ان نتيجة هذا التلاقح تسير على قانون ثابت لا تحويل فيه ولا تبديل

وكانت اكثر الاختبارات التي اجراها هذا العالم في اللوبياء اذ لهذه من مختلف الصفات في الطول والقصر وتباين في اللون والحقيقة ما ليس لكثير غيرها كما ان هذه تتلح من غيرها اذا كان هناك مانع من ان تتلح بذاتها . فلما ان زاوج مندل نوعاً طويلاً من اللوبياء بنوع قصير منها . كان الجيل الاول كله طويلاً ثم جعل افراد هذا الجيل يتلاقحون فحصل على هذه النسبة : ٢٥ : ١ في المائة من النوع الطويل الذي اذا ولد لم يلد الا طويلاً و ٢٥ في المائة من النوع القصير الذي اذا ولد لم يلد الا قصيراً و ٥٠ من النوع الطويل الذي اذا ولد افراداً تصدق عليهم هذه النسبة المذكورة ١ : ١ : ٢ . وسمى مندل صفة الطول نافرة (١) dominant وصفة القصر كامنة recessive

لم يكن هذا عرضاً وانما هو نتيجة ثابتة كما قدمنا . والى الجراثيم هي الحاملة لهذه الصفات ومن طريقها تبرز الى عالم الوجود اذا اجريت عملية التلاقح .

وإذا رمزنا بالحروف « ط » للصفة النافرة وبالحرف « ق » للصفة الكامنة، كان هذا الشكل موضحاً للطريقة التي تحصل بها على هذه النسب الثابتة : (١)



وليعلم ان الصفات التي يحملها فرد من اى كائن حي لها ما يمثلها من العوامل في الخلية الجرثومية وانه مكون من مجموعة صفات يتوارثها خلافاً عن سلف واذا ما اردنا ان تقدم حقائق هذه التواعد مدعمة قلنا انها ترتكز على ثلاثة اسس : (٢)

(١) ان كل فرد مكون من مجموعة صفات متوارثه :
فلو فرضنا ان دجاجة ذات لون أبيض ورجلين مكسوتين بالريش، لتحت من ديك أسود ذى عرف طويل فإن نسلهما الأول يجمع بين العرف الطويل والرجلين المكسوتين بالريش ويظهر على كل من افراد هذا النسل اللون الأسود تتخله نقاط بيضاء . ولكن تلاقح افراد هذا النسل (أو الجيل) تنتج مزيجا من كل من هذه الصفات الثلاث على أى ترتيب ممكن .

(٢) ان الخلايا الجرثومية التي تتولد في فرد لا تحتوى على صفتين نافرتين او كامنتين في جرثومة واحدة، وعلى ذلك فلا تجدد صفتي طول العرف وريش الرجلين في جرثومة واحدة ، بل تجدد كلا منهما في جرثومة معينة وهذا ما دعاه مندل « قانون انفصال العوامل »

وهذه الحقيقة التي أدركها مندل دون مشاهدة ، قد بينتها الابحاث المتعلقة بالخلية وأوضحتها .

(٣) ان اتحاد جرثومتين محتوتين على صفات « مختلطة متعددة : (٣) او

Heterozygotes يؤدي الى نتيجة ثابتة من حيث العدد .

(١) الشكل من كتاب طوم-وزنى التطور

(٢) يطابق هذا ما جاء في كتاب فاندريك (٣) لى السيل - الوراثية

فإذا اتحدت خلية جرثومية ذات صفات متعددة مع أخرى من نوعها ذات « صفات واحدة » فلما ان يكون الناتج من هذه الجراثيم محتويًا على صفات متعددة (١) او غير متعددة وهذا عين ما تكلمنا فيه ومثالة اللوبياء

فإذا احتوت خلية جرثومية على صفتين احدهما نافرة والاخرى كامنة قيل لها « زوج مندلي » Merdeilian pair. فإذا كان من هذه الأزواج اثنان كان في الجرثومة زوجان مندليان وهلم جدا...

ونتيجة التلاقح في هذه الحالة لا تشذ عن سابقة قيد أمثلة ، والنسبة واحدة لا تتغير . فلو فرضنا ان لقحنا ذرة صفراء ذات غدقة ناعمة باخرى خضراء ذات غدقة خشنة علمنا من نتيجة التلاقح في الجيل الاول ان اللون الاصفر نافر للاخضر وان الغدقة الناعمة نافرة للغدقة الخشنة . ثم اذا لقحنا هذه بذاتها كانت النتيجة

كما يلي (١)

حيوان منوى	صن	حيوان منوى ص (خ)	ص (ر) ن	حيوان منوى (ر) (خ)
بويضة صن	صن صن	صن صن (خ)	ص صن (ر) ن	ص صن (ر) (خ)
ص (خ)	ص (خ) صن	ص (خ) صن (خ)	ص (خ) صن (ر) ن	ص (خ) صن (ر) (خ)
(ر) ن	(ر) ن صن	(ر) ن صن (خ)	(ر) ن صن (ر) ن	(ر) ن صن (ر) (خ)
(ر) (خ)	(ر) (خ) صن	(ر) (خ) صن (خ)	(ر) (خ) صن (ر) ن	(ر) (خ) صن (ر) (خ)

حيث تمثل (ص) اللون الاصفر : النافر

و (ن) الغدقة الناعمة : نافرة

و (خ) الغدقة الخشنة : كامنة

و (ر) اللون الاخضر : الكامن

ب — نظرية وايزمن في استمرار الخلية الجرثومية

كان العلماء الأولون يعتقدون أن الكائن الحي تتضمنه الخلية الجرثومية

فازالت الجرثومة بعد اللقاح نشرت هذا الكائن وأخرجته الى عالم الوجود.

ولما جاء وايزمن نظر في الخلية الجرثومية كخلية حية تعيش وتنمو ومنها

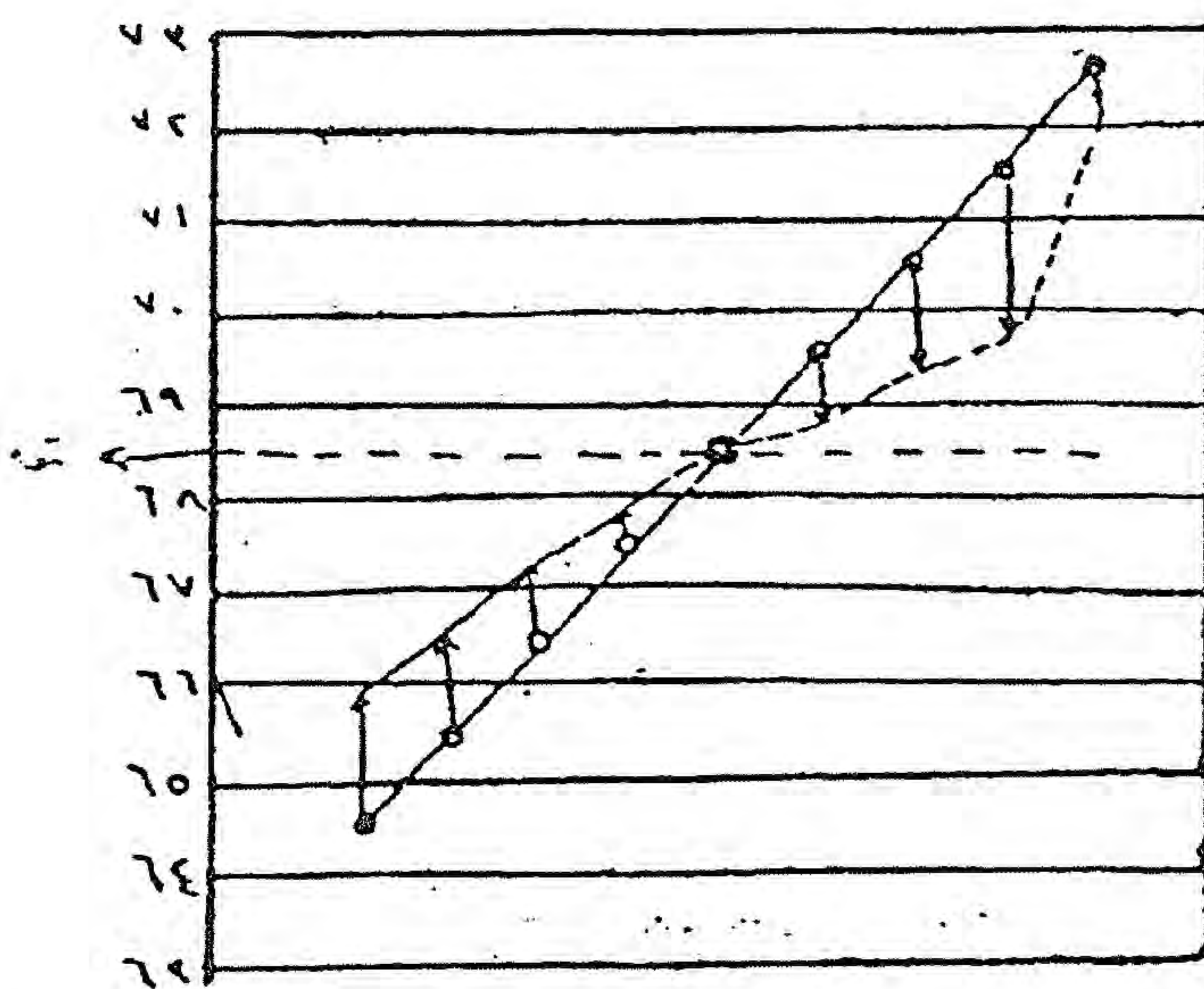
يتكون الجسم كما أن منها تتكون الخلايا الجرثومية في هذا الجسم دون أن يكون له عليها تأثير. وتركيب هذه الخلية الجرثومية أدق من تركيب البروتوبلازم على العموم. ثم أن هذه الخلية تحتوى على نواة فيها كروموسومات فيها عوامل الصفات التي تظهر على الكائن بعد أن تنمو نمواً كافياً.

هذه هي النظرية التي دعت وايزن ومن اخذ بقوله إلى عدم التسليم بقول من قال بوراثة الصفات المكتسبة كما سيجيء

٣ — اساس الوراثة التقويى

السير فرنسيس جالتون احد علماء الانكايير الطبيعيين ومن أول من درس موضوع الوراثة بالتقويم أو الاحصاء.

اراد جالتون ان يتخذ صفة من صفات البشر أساساً لاختباراتهِ واراد ان لا تكون هذه الصفة سريعة التأثير بالمحيط فجعل طول افراد البشر موضوع بحثهِ. وقابل طول ٢٠٤ من رجال الانكايير بطول ٩٢٨ من ابنائهم بعد ان بلغوا اقصى حد من الطول وتوصل من اختبارهِ هذا الى انه مهما كان طول القامة أو قصرها في الآباء فإن الابناء يولدون وفيهم ميل نحو معدل الطول البشرى. ولانوضح ذلك بالشكل الآتى، وهو من كتاب والتر.



شكل يمثل ميل الابناء نحو معدل طول البشر مهما طال الآباء أو قصرُوا

تمثل الدوائر طول الآباء

وتمثل اطراف السهام طول الابناء .

والنتيجة التي تحصل عليها جالتون من هذه الابحاث الدقيقة هي ان طول البشر يرجع الى طول اصل لهم سابق يرثون طولهم عنه .

٤ — أساس الوراثة المادى

يتكون الكائن الحي من اتحاد الحيوانات المنوية بالبويضات، ويكون ذلك اما في جسد الانثى كما هي الحالة في الحيوانات التي تعيش في البر، وإما في الماء كما هي الحالة في الحيوانات التي تعيش في الماء . ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الفرد يرث عن أبيه بقدر ما يرث عن أمه من الصفات

إن الحيوان المنوى مكون في أكثر جسمه من النواة، حتى أن بعض الحيوانات المنوية لا يدخل منها في البويضة غير نواتها، ومع ذلك فالفرد الذي يتكون من اتحادها يرث من أحدها بقدر ما يرث من الآخر . وهذا يدل على أن النواة هي الجزء المهم في الوراثة .

والنواة بذورها مكونة من اجسام دقيقة فيها تسمى الكروموسومات (أو العصى كما دعاها بعضهم) ، وفي الكروموسومات عوامل هي الأساس في كل ما يرث من الصفات . ففي البويضة عدد من هذه العوامل يحمل صفات الانثى وفي الحيوان المنوى عدد آخر مساو له يحمل صفات الاب . فاذا اتحد حيوان منوى ببويضة حصلنا على بويضة ملقحة واحدة حاوية لصفات الاب والام . وفي هذه الكروموسومات واحد يسمى « كروموسوم النسل » وهو يقرر مصير البويضة الملقحة اما ذكراً أو أنثى

ثم تكون الحيوانات المنوية في الذكر والبويضات في الانثى ويحتوى كل منها على عدد معين من الكروموسومات يتساوى في افراد كل نوع :

* *

٥ — الصفات المكتسبة والوراثة

١ — لمحة تاريخية : اعتقد الناس منذ القدم ان الابناء يرثون ما يكتسبه

الآباء في حياتهم من قوة في العقل وبسطة في الجسم وجاء «لامارك» في القرن الماضي فأثبت هذا المعتقد وجعله اكبر دافع من دوافع النشوء والارتقاء. وكان هذا رأى دارون من بعده، الا انه لم يذهب فيه الى ابعد مما ذهب لامارك. فلما أن جاء وايزمن وألتي بنظره الثاقب على ما أصبح عقيدة راسخة أنكره وثار عليه وكان من أول القائلين بان الصفات المكتسبة لا تورث، وانقسم علماء الحياة الى قسمين قسم بقى يناضل عن معتقد دارون وآخر أخذ بمذهب وايزمن. ولقد أثبتت التجارب أن ما جاء به هذا العالم هو الراجح وهو ما عليه جمود العلماء في الوقت الحاضر (١)

ب — تحديد الصفات المكتسبة

قال وايزمن «الصفة المكتسبة هي الحدث الذي يقع في الجسم دون أن يكون له أصل في الخلية الجرثومية» (٢). ومن الصفات المكتسبة التي تقع ضمن تحديد وايزمن هذا، القطع وتأثير الاستعمال والاغفال وما الى ذلك مما سنجد عليه ولا يدخل تحت هذا الحصر ما يرى في بعض الناس من المواهب العقلية والفنية لأن أصل هذه المواهب كئنة في الخلايا الجرثومية.

قلنا ان رأى وايزمن يزداد أنصاره وان رأى القديم وان كن لا يزال قويا ينحل أمام الحقائق المكتشفة، والآن نتقدم الى الاسباب التي جمعت وايزمن وأنصاره يزدادون يقيناً بمذهبهم الجديد.

ج — أسباب اعتقاد وايزمن بان الصفات المكتسبة لا تورث.

(١) عدم تأثير الجسم في الخلايا الجرثومية

تنتقل الخلايا الجرثومية من جسم الى جسم دون أن يكون لهذا عليها تأثير، اللهم إلا من جهة التغذية، والتغذية لا دخل لها في عوامل الوراثة التي تحملها هذه الخلايا

ولقد نقل عالمان أمريكيان بواسطة عملية جراحية مبيض خنزيرة من خنازير غينيا ذات لون أسود الى أخرى ذات لون أبيض، بعد أن رفعوا من هذه مبيضها،

(١) هذا الاعتقاد مبني على نظرية وايزمن في استمرار الخلية الجرثومية كما جاء ولكن هذا الرأي وان ثبت فان نظرية وايزمن أخذت تتضع الآن (٢) Walter p. 67

ولفحوها، بعد أن تم نموها، من ذكر أبيض، فكانت النتيجة أن لون النسل كان اسوداً في مرات ثلاث متوالية مما دل على أن الخلايا الجرثومية هي العامل الأقوى في الوراثة وإن الجسم لا دخل له فيها.

(٢) وجود براهين كثيرة تدعم هذه النظرية

(أ) القطع : نعلم جميعاً أن كثيراً من الكلاب تقطع آذانها وأذنانها ولكن نسل هذه الكلاب يولد ولا قطع فيه. وكذلك نعلم أن اليهود والمسلمين يختنون منذ الوفاة من السنين ولكن الأبناء يولدون وفيهم هذه الزائدة الجلدية. والامثلة على ذلك كثيرة. وكلها تدل على شيء واحد وهو أن الصفات المكتسبة لا تورث (ب) تأثير الاستعمال والاغفال: إن الحداد الذي يستعمل يديه وجسده في رفع الأثقال أقوى بنية من الكاتب الذي يجلس وراء منضدته لا يثقل يديه إلا القلم وهذا بالطبع صحيح على وجه العموم إذا كانت وجهات المقابلة الأخرى في الاثنين متساوية.

والبدوى الذي يقطع القفار حافي القدمين اسمك في باطن قدميه من الحضري الذي لا يسير إلا قليلاً ولا يسير إلا منتعلاً لاستعمال عضوه إذن يزيد في نموه، ولكن هل يولد ابن الحداد قوى البنية كأبيه أو هل يولد ابن البدوى كثيف باطن القدم كأبيه؟ لا! إذن فالصفات المكتسبة بالاستعمال لا تورث.

(ج) عدوى الأمراض : لو أن الذين يصابون بالأمراض المختلفة يورثون هذه الأمراض أعقابهم لأصبح أفراد النوع البشري جميعاً معتلين ولتلاشى النوع في وقت قصير. ويمكن التقرير بوجه عام أن الأمراض لا تورث مهما غلب هذا الظن على رأى الكثيرين. ذلك لأنه لا سبيل لمكروب من مكروبات الأمراض أن يدخل في خلية جرثومية، ولهذا يتولد الجنين من دون أن يلحقه أى اذى ولكن استعداد هذا الجنين للمرض هو الذى يوهنا بأن المرض يورث.

وكذلك الحال فى ادمان الخمر إذ من المعروف أن أبناء العكبرين يشربون الخمر، وقد يكون شرب الخمر موروثاً أو شبه موروث لأن الخلايا الجرثومية تضعفها المشروبات الروحية، فيولد الطفل وفيه ميل لشرب الخمر لضعف في تكوين جسده

ناشئ عن أن انخلايا الجرثومية تكون غير قوية النشوء والنمو .
 (د) شهوات الأم . من الذائع المشهور أن المرأة الحامل حين تفكر كثيراً
 في شيء ، مثل أكل اللفت مثلاً ، تظهر على وجه المولود لطخة حمراء . وإن من
 النساء من ولدن اشخاصاً غريبة أشكالهم لشهوة في المرأة الحامل تتعلق فيما
 ظهر على الطفل من الشذوذ .

والحقيقة أن لا علاقة لهذه الظاهرة بما ينسب العامة إذان هذه المظاهر لا
 تظهر حين تحب الأم ظهورها . وليس هناك من علاقة بين جسم الأم وجسم
 الجنين تجعل هذه الشهوات ممكنة الظهور في الطفل .

(٣) كفاية هذه النظرية لا يوضح الحقائق الوراثة (١)

يقول وايزمن : إذا كنا قادرين على تأويل كل ما تتطلبه حقائق الوراثة
 باعتقادنا أن هذه الوراثة تحصل بتأثير انخلايا الجرثومية فلم نكلف أنفسنا تفسير
 هذه الحقائق عن طريق وراثة الصفات المكتسبة إذا لم يكن في استطاعتنا أن
 نفعل ذلك ثم يقول :

« إذا لم يكن بد من تفسير حقائق الوراثة بالطريقة القديمة فعلياً ان
 ثبت ما يأتي :

إذا طرأ طارئ خارجي معلوم فيجب أن يحدث تغييراً معلوماً ، ويجب أن
 لا يكون هذا التغيير سابق الاثر ، كأن يكون له مركزاً في انخلايا الجرثومية ، ويجب
 أن تختفي هذه الصفة فيما لو ارتفع الطارئ الذي أحدثها . ويقول والتر (ص ٨٥)
 بأن هذا لم يثبت بالرغم من الجهود التي بذلت في سبيل اثباته

٤ — خصوم وايزمن

علمنا من نظرية وايزمن أن لا تأثير للجسم على انخلايا الجرثومية . وكل ما يفعل
 الجسم أنه ينقلها من جيل إلى آخر دون أن يغير منها شيئاً ودون أن تغير هي منه
 شيئاً . ولكن لو ايزمن خصوماً قد أسسوا خصومتهم على أساس من التجارب
 والاختبارات . واليك مثل من الأمثلة التي يقدمونها فتقف أنت ووايزمن حائر بنجاحها .

من المعلوم أن الخصاص يغير من تركيب جسم الحيوان تغييراً ظاهراً، إذ يزداد به نمو الجسم وتموت فيه شهوة التلقيح. وهذا يثبت أن إصابة الخلايا الجرثومية بضرر يجعل لهذه الإصابة أثراً يينا في تركيب الجسم.

ونزيد على ذلك أن بعض النباتات وبعض الحيوانات الدنيا تتوالد بطريقة يقال لها «التبرعم» وظاهر أن هذه الطريقة في النمو جسمية لا تدخل للخلايا الجرثومية فيها ومع ذلك فالفرد الذي ينشأ بهذه الطريقة يشبه سلفه تمام الشبه.

نظرة عامة

لقد أوردنا للقارىء في هذه العجالة حقائق ومشاهدات عن الوراثة. ونريد الآن أن نجعل ما قلناه. وأن نزيد عليه شيئاً قليلاً يتبين منه مركز العالم اليوم ومقدار تقدمه في هذا الموضوع.

اعتقد العلماء أولاً أن الوراثة والنمو مدفوعان بعامل لا نستطيع أن نراه. وهذا العامل هو عبارة عن نشاط وقوة في دقائق عضوية لا ترى بالميكروسكوب. ولما جاء دارون (١٨٦٨) واتخذ لنفسه فرضاً يفسر به حقائق الوراثة قال بأن الخلايا الجسدية أثناء نموها تولد بريعات أو (gemmules) تنمو وتنقسم وتسير في جسم النبات والحيوان إلى أن تصل إلى الخلايا الجرثومية فتتجمع هناك. ومتى تلقحت هذه الخلايا ظهرت صفات النسل بفعل البريعات.

ثم جاء دى فريس (١٨٨٩) فقال إن هذه الدقائق لا تمثل الخلايا وإنما تمثل صفات الجسم الذي انفصلت عنه ولا تسير في الجسم من خلية إلى أخرى كما قال دارون. ونحى بعد إلى رأى نيجلى Nagell (١٨٨٤) الذى قسم البروتوبلازم إلى قسمين قسم غذائى غير مرتب، وآخر توليدى مرتب الأجزاء، زعم أنه أساس الوراثة المادى. ونعقب على هؤلاء وايزمن (١٩٠٢). فدفعته أبحاثه ومظانه إلى القول بأن الجنين حين ينمو تكون فيه الخلية الجرثومية وحدها لا تدخل لنمو الجسد فيها. فالبرويضة الملتحة على مذهب وايزمن تأتي بالجسم الجديد وفيه خلية جرثومية جديدة أيضاً. فنظرية وايزمن تعتمد كل الاعتماد على استمرار الخلية الجرثومية.

والرأى الآخذ في الانتشار اليوم لا يميل الى اتباع وايزمن فقد شوهده كما ذكرنا ان اجساماً تامة تنمو من خلايا غير الخلايا الجرثومية . وليس لنا الآن الا ان ننتظر نتيجة الابحاث في الحاضر والمستقبل .

محمد أديب

بجامعة بيروت الأمريكية

المصور — نشكر حضرة الكاتب تحفته . وننتهز هذه الفرصة لكي نشير الى أشياء اعترض بها علينا في خطابه الذي ارفقه بمقاله هذا . فقد ذكر ثلاثة اشياء .

أولاً — الكولنتيراتا — فقال انها تعرب سيلنتيراتا كما تنطق في الاصل تماماً والحقيقة على الضد من هذا فان حرف (C) اذا نطق بالسين قلب قافاً أو كافاً لتتقارب بهما . غير أني أستحسن قلبها كافاً في هذه المادة: وعلى هذا يكون تعريبنا جارياً على قاعدة القلب التي اتبعها العرب في معرباتهم فقالوا في Cyclades قوقلادس وفي Cyzique قوزيقس وفي Niceta نقيطا . اما تحت ترجمة للمصطلحات العالمية ومنها اسماء الاعلام العلمية فذلك مالا اوافق عليه مطلقاً ، بل اعربها تعريباً على قاعدة من القواعد التي اتبعها علماء العرب في معرباتهم

ثانياً — المولاسكا — Mollusca اي الحيوانات الرخوة أو الصدفية . فقد ذكر حضرة الكاتب ان الاخطبوطيات من المولاسكا . واذا رجع الى تقسيم لينوس وتقسيم كوفيه وتقسيم هكلى اخيراً لوجد انهم لم يذكرها ان منها الاخطبوطيات . راجع القاموس الانسكلوبيدى (كسيل وشركاه) ص ٨١ مجلد (٥) وكذلك الاستاذ عثمان غالب في كتاب علم الحيوانات ص ٦٢ و ٦٣ فانه فرق تفريقاً تاماً بين الاخطبوط وبين الحيوانات الصدفية وهى المولاسكا .

ثالثاً — انى لم اذكر ان الكولنتيراتا أو القولنتيراتا هى الاخطبوطيات بينها بل قلت ان «الكولنتيراتا» أصل يحتوى على الاخطبوط والاسماك الهلامية وديانسم البحر وحيوانات المرجان ؟ وقد اعتمدت في هذا القول على الاستاذ مكبريد ، استاذ علم الحيوان المعروف

على أن لنا بعض معترضات واستدراكات على ما جاء في صلب المقال . فليست أدري لماذا يعدل الكاتب عن استعمال كلمة « منفور » للصفة الكامنة مادام أنه يوافق على استعمال كلمة نافر للصفة الظاهرة وقد قال اعشى ميمون العربي ضمن قصيدة « واعترف المنفور للنافر » ثم أنه يستعمل كلمة الأشكال ترجمة لكلمة Forms وحققتها « الصور »

أما فيما يختص باصطلاح Zygote فقد رقت الى ترجمة له ولا أرى مانعا من أن يطلق عليها اصطلاح « المزدوج » في اللغة العربية فنقول « مثلا » مزدوج نافر مركب Heterozygote dominant « ومزدوج منفور مركب » Heterozygote recessive أو نقول مثلا « مزدوج نافر بسيط » Homozygote dominant وهكذا . وفي ظني ان هذا الاستعمال أقرب إلى الحقيقة وأليق لغويا من الاستعمال الذي جريت عليه في كتابي ملتي السبيل .

وجاء في ص ٥٧٩ ان داروين تبع لامارك في توارث الصفات المكتسبة ولم يتعد لاكثر من هذا . والحقيقة ان داروين قد عمد الى توارث الصفات المكتسبة ليعمل بذلك كثيرا من الصعاب التي اعترضته في بحثه . غير أن له مذهباً في الوراثة شرحه في آخر كتاب « الحيوانات والنباتات تحت تأثير الايلاف » دعاه وحدة التناسل Pangenesis . وهو مذهب قريب جهد القرب من مذهب وايزمان لولا أنه يجعل لمجموع صفات الجسم تأثيراً في الاضرار الحيوية أو التبرعم أو البويضات الملقحة أو ما شئت من المسميات . غير ان داروين قد اعتمد في تكوين مذهبه على النظر دون الاختبار . على أن توارث الصفات المكتسبة لم ينقض نقضاً تاماً . فان العلامة ارثوطوسون قد جاء في فصل من كتابه في « الوراثة » على ذكر الحالات التي تؤيد توارث الصفات المكتسبة ، والحالات التي تنافيها ، ووازن في البحث موازنة علمية دقيقة ، لا تستطيع بعد أن تفرغ من قراءتها ان تحكم لاحد اراءين حكماً مقطوعاً بصحته .

مأملات في الأدب والحياة

كانت سياسة الأمم في الأعمار القديمة من المهنات التي لا تتطلب من الصفات أكثر من عبوسة في الوجه، ودلالة في الإرادة، وقسوة في القلب. أما اليوم فقد انقلبت الآية.

لما عرفت الشعوب حقوقها المدنية وتغيرت قواعد الحكم في هذه الدنيا، وأصبحت الشعوب مصادر السلطات، وقضى على سلطة المستبدين بأمرهم، وتقررت مبادئ الحرية السياسية والفكرية، قضى هذا التطور الكبير على تسلط الصفات القديمة التي كان يجب أن يمتاز بها السياسيون. أما اليوم فالسلطة لاشد السياسيين ليونة وأكثرهم أخذاً بالواقع المحسوس وأشدهم سيراً مع ما تتجه فيه الجمادير.

وأما في الغد فإن العالم سوف يتسلط على العالم كله. وحتى على السياسة. ولست أدري كيف أن سياسياً أو زعيماً يجبل بمبادئ علم البيولوجيا والاجتماع يكون في مستطاعه الحكم على حقائق الأشياء أو على ظواهرها حكماً بعيداً عن واقع الزلل.



جاهد الناس في سبيل الحرية. والحقيقة أن جهادهم واستماتتهم في سبيلها لم يكن عن اقتناع بأنها مفيدة أو أنها ضرورية أو أنها ستبلغ بهم، إذا ما استحوذوا عليها، إلى أقصى قمة من المجد العالمي أو السعادة في الحياة. لم تكن استماتة الناس في القتال من أجل الحرية لشيء من هذا. بل كان قتالهم في سبيلها آت عن طريق الوهم والتخيل، أكثر من أي شيء آخر.

خيّل إلى الناس أن الحرية هي الإباحة. ونحت هذا العنوان عملوا، وانقياداً لهذه الأخيصة قاتلوا واستماتوا في سبيل الحرية.

لم يدرك معنى الحرية إلا نفر قليل عديد من زعماء الشعوب . بل أدركوا الحرية محدودة بمحدودية ، مقيدة بقيود ثقيلة . ولعمري كيف يمكن أن تقاتل الجماهير في سبيل الحرية إذا هم أدركوها على ما أدركها « ميل » أو « بنتام » أو غيرهما من وجالات الاسم ؟

خيّل الى الناس في عصر من العصور أن الحرية هي إطلاق الشهوات والانفعالات وكل النزعات والصفات الانسانية التي هي أدنى الى أفق الحيوان من بقية الصفات . لهذا قاتلوا واستماتوا في سبيلها لأنها كانت اليهم محببة مرغوبة فيها على هذا التصور الغريب .

أما اليوم فن العلامة جوليان هكسلي ، وهو من أكبر الباحثين في التناسليات ، يقول على ملاء من العالم « متى يقلع الناس عن خرافة الاستمساك بما يسمونه الحرية الشخصية » ؟ وما من فرد واحد يرفع في وجهه حقيرة أو يجابهه بقول !!!
أليس في هذه الظاهرة دليل واضح على أن الانسانية ارتقت أدبياً من طريق لوهم أكثر من ارتقاءها من طريق الحقائق الواقعة ؟ وأليس في هذا دليل على أن المستحيلات الثلاث : الحرية : والاخاء : والمساواة : كانت على استحالتها دافعا للانسانية على التقدم والارتقاء ؟

قد يتساءل البعض كيف أن الحرية والاخاء والمساواة مستحيلات ثلاثة دفعت الانسانية على التقدم والارتقاء ؟ وكيف يمكن أن يكون المستحيل عاملاً مؤثراً في الحياة الاجتماعية يبعث الناس على الضرب في سبيل التقدم ؟

أما السؤال الأول فجوابه بين سهل : لأن الحرية تنافي المساواة ، بدليل أن ليس من شيء عز أقتل للحرية من العمل على التسوية بين غير المساويين . والناس لا يتساوون اللهم إلا في المجاز ، وهو والله الحمد ليس بذى أثر في الحياة العملية . كذلك تنافي فكرة الاخاء مع الحرية . لأن الحرية تعطى لكل فرد الحق في أن ينافس غيره وأن يجاهده الحياة ويناحره فيها من أجل البقاء . فإذا منعت على الناس حق المنافسة والتناحر جردتهم من أول ما تتطلب الحرية من صفات .

اما كيف تؤثر هذه المستحيلات فى الجماعات بما يبعثها على الرقى ؟ فسبيل سهل . لان الناس لم يفهموا هذه المستحيلات على حقيقتها بل بموحياتها النفسية لا غير . فهوها على مقتضى ما أوحى اليهم نفسياتهم من مدلولات . لهذا سعى اليها وعملوا تحت رايتها فباغوا شأواً من الرقى ، محملاً قيل فيه ، فانه شأواً لا يغبطون عليه .

*
* *

المدنية الحديثة مدنية العقل ، لا مدنية الروح . والظاهر ان مدنية الروح قد قضى عليها ، ولكن الى وقت موقوت وأجل مسمى .
سيشعر الانسان عما قريب أن ارتقاءه المادى ليس وحده السبيل الى السعادة . بل سوف يشعر أن الماديات لا تسلم الى السعادة ، ومن الجائز ان يرجع الى الروحانيات يستدر وحياً ، ولكن بطريقة مخالفة تماماً للطريقة التى اتبعها حكماء الهند بين غياضها القديمة ، وزهاد مصر فى صحرائها الشاسعة .

*
* *

جمنى مجلس يوماً فيه ملحد ومتدين أو بلغة الفلسفه مؤمن وشكى ، ودار بينهما الحديث على الدين ووظيفته فى هذه الحياة ، فكان من رأى المؤمن أن الدين إنما شرع لهداية الناس أفراداً وجماعات . أما الشكى فقد قال له اذا سلمنا بهذا لزمنا أحد فرضين : فاذا قلنا بان الدين قد هدى الناس الى السبيل السوى ، إذن لم يصبح له من وظيفة يؤديها ، لانه يكون قد أدى وظيفته بالفعل . واذا قلنا بان الناس لم يهتدوا رغم الاديان ، كان هذا دليل على افلاس الاديان عن هداية العالم !!!
وهكذا دواليك على مر الازمان .

*
* *

وما قولك فى الوطنية !

ارجع بك الى كتاب حياة صموئيل جونسون ، تأليف بوزويل . فى الصفحة ١١٥ من طبعة مكلان سنة ١٩٢٢ مجلد ثان تقع على هذه المحاوره :
جونسون — « ان الوطنية هى آخر ملجأ يلجأ اليه المناقون . »

وهنا يعلق بوزيل على قول جونسون بقوله - « غير أنك لا تنسى انه لم يقصد بها حب الانسان لوطنه حباً صحيحاً صادقاً . بل قصد تلك الوطنية التي اتخذها الكثيرون في مختلف الامم والعصور كساء يلتحفون به قضاء لاغراضهم وحاجاتهم الشخصية . » أما أنا فقد استمسكت بفكرة أن كل الوطنيين لم يكونوا منافقين ولا خونة . ولما اضطرت الى ذكر رجل من الوطنيين الذين نحبهم ونعجدهم (وهو بلا شك بريك معاصره) اجاب جونسون بما يأتى :

« سيدى ! انى لم أقل بانه غير أمين . انه ليس لدينا من حق في ان نستنتج من اخلاقه السياسية انه كان اميناً حقاً . فانه اذا قبل مركزاً من الوزارة الحالية ، فانه بذلك يفقد تلك الصفة التي اشتهر بها ، صفة الصلاب في الحق وضبط النفس ، وربما فقد مركزه فيها في خلال سنة واحدة . فان هذه الوزارة ليست ثابتة ، كما انها ليست متفانية في الدفاع عن اصدقائها ، كما كان سير روبرت والبول من قبل . وعلى هذا يترتب أن يعتقد أن انضمامه للوزارة الآتية أبقي على فائسته من انضمامه الى الوزارة الحالية »

وهكذا تكون الوطنية حتى في انجلترا سيدة العالم ، وفي عصر صموئيل جونسون وبوزيل وإدموند بريك !!!



لما بدأ ديكارت يفكر في الفلسفة وفي العالم وداخله الشك في التقاليد القديمة ، لم يستطع أن يترك نفسه وعقله نهياً للشك وحده ، بل وضع لنفسه قواعد أدبية سماها أحكاماً « وقتية لضبط النفس » اتبع مبادئها طوال أعوام تفكيره التي انفقها سعيًا وراء الحصول على الحقيقة . بل إنه جعل الوصول الى الحقيقة مشروطاً على اتباع هذه الأحكام الاختيارية . وحصر هذه الأحكام في أربعة أشياء :

الأول - أن يخضع المفكر لقوانينه وشرائع دينه التي ولد وربى تحت ظلالها .

الثاني — أن يعمل ، ما سنحت الفرص التي تدعوه الى العمل ، من غير
تلكا وعلى مقتضى ما تصل اليه قوة احكامه العقلية ، وإن يسكن إلى النتيجة راضيا
من غير تدمير أو ضجر

الثالث — أن يسعى وراء السعادة بان يعمل على الاقلال من رغباته
وشهواته ، أكثر مما يعمل على تلبية نداءها وسد مطالبها

الرابع — أن يكون البحث وراء الحقيقة غرضه في الحياة
وكبرا ماشك منا المفكرون ، وكثيراً ما عمد المؤلفون الى اتباع خطى ديكارت.
ولكنهم ظلموه ظلماً كبيراً . فهل منهم من اتبع هذه القواعد خلال شكه قبل
أن يصل الى الحقيقة ؟ ومن الذي وصل الى الحقيقة منهم ؟ بل من ذا الذي يدعى انه
عرف شيئاً من أطراف الحق ليكون سلمه الى الحقيقة ؟

حقاً لقد ظلم ديكارت ! وفي سبيل الحق ما حاق به من ظلم حياً وميتاً
فيلوبونس

مأثور الوفاء

إذا ما ذكرت خلود الوفاء ذكرت اتصال النفوس الوفيه
لها وحدة من نهى أو إحاء تعيش بعيشتها في البريه
فليس الوفاء إذن كالجميل وما هو احسان حر لعبد
ولكنه طبع روح أصيل توزع ، لكن لرد ورد

فلا ترج يوماً وفاء صحيحاً يدوم سوى من فؤاد شقيق
ولا تجزه عند بر مديحاً فتمدح نفسك مدح الرقيق
واكن عليك صلاح الانام فينمو الاخاء وينمو الوفاء
فان سلماً عز ملك السلام وصار خلود الوفاء الرجاء

أحمد زكي ابوشادي

سلوى

أوبرا تراجيدية تأليف الاستاذ

الدكتور على الناصر

وقد خمس بها « العصور »

— الفصل الاول —

فؤاد فى غرفته وحيداً —

كنا نسير رويداً فى ظل ارز الجبال
 والبدر يبدو ويخفى فى وسط تلك الغيوم
 والبحر يبدى فتوراً كمشقل بالهموم
 والليل ساج قرير مدثر بالجلال
 قد نام ربا الجفون

قامت تغنى فتانى بصوتها العذب شعراً
 « الحب نور آلهى تفيض منه القلوب »
 « الحب روح البرايا الحب شر عجيب »
 ومن صدى الصوت ريعت فطوقتنى ذعيراً
 فكيف حالى يكون ؟

ضممتها لفؤادى كالأم ترأم طفلاً
 ورحت أوحى اليها الهدوء بالقبلات
 فكنتها . . . قهادات تعيد ذى النغمات
 ففتح الليل جفنأ والطير ناغى ملولاً
 على أعالى الفصون

فكم وكم فى البرارى كقمرين لهونا
 وفوق صخر الشواطى كلنا الغرام جزافاً

نشاهد الشمس تبغى عن الوجود انصرافاً ..
 فيفتح البحر لحداً لها فتهمى الدوينا
 الى زوايا السكون

ذكرى تطيا شجونى ورب ذكرى مصاب
 حب يمزق قلبى وغيرة وارتياب
 لو كنت آمل وصلاً لمان عندى المصاب
 محم يطل أمر بعدى عنها وعنهما أصد
 فليس عنها سلو وعن هواها مرد
 ولو تلى الحزن حزن وأعقب السهد شهيد

تدخل أمه عليه فجأة والدموع فى ماقيها تحمناً وشفقة —

بنى يكفيك حزناً ولوعة وهياماً فقد أثرت بقلبي من الحنان ضراماً
 بنى ! لا بد يوماً بحسن سميك تثرى فتقرب بك واصبر ينتذك من كل عسر
 فالله رب البرايا ، مدبر كل أمر

فؤاد — ... أماء قد عيل صبرى ! أماء قد عيل صبرى !

ما كنت والله أدرى انى لفقرى أهان

ان لم أرث عن جدودى ...

الام — قربنا معوان

فؤاد — فهمتى وشبابى على الثراء ضمان

هل يبيعون منيتى بالنقود

لغنى فظ وشيخ كنود .

دون ما يبتغون خرط القتاد

فؤاد — يمشى فى الغرفة ذهاباً وإياباً

الام — انى رجوت أباهـا جهدى فما لان أصلا

وقال اعطاء سلوى أراه هوناً وذلاً

ما كان هذا مباحاً فى أسرتى قط قبلاً

وان رضيت فساوى هيات ترضاه بعلا

فؤاد — أماء ان أباه
بردى اليوم بغضاً
سلوى على الود تبقى
حاشا تحاول تقضاً

الام — هم أوغروا صدرها حتماً عليك وقد
نالوا منها ففهمها عنك أعراض
قالوا لها ان ما تبديه من كلف
بجبهها كله زور وأغراض

فؤاد — وهى تصدق انى مخادع بغرائى ؟
الام — اهدأ قليلاً فؤادى واسمع ، بنى كلامى

قلب الفتاة عجيب
يدى بالانقلاب
كالبوق يضحك بينا
تراه بالانتحاب
بكنتك ثم تسلت
....
فؤاد يظهر غضباً وحدة :
فالحرز مهما تمادى
كذا الحياة حبيبى
مهما فؤادى مهلا
يأتيه يوم فيسلى
تمر فصلاً ففصلاً

فؤاد — أماء رفقاً بقلبي
وليس لى فى حياتى
مذ والدى مات أوحى
فكنت لى خير هاد
كفلتنى حين ضعفى
فهل سواك شفيق ؟
فقد تظفر حزناً
سواك أماء عوناً
لك الامومة سرّاً
وفى ظلامى بدرّاً
بالرغم عن كل عسر
أفضى اليه بأمرى

فأنت مصدر حسي . وأنت موضع سرى
 ومنك منشأ خلقى ومنك طيب ونشرى
 فمذ نعمة ظفري جرعت كس الشقاء
 اليتيم يثقل ظفري والفقر يعضل دأى
 كم كنت موضع سخرال — أطفال رفته درسى
 لقاة فى طعامى ومن حقارة لبيسى

حتى الاساتذة الكرا — م بحكمهم لم ينصفونى
 كم كان غيرى مجرماً وبجرم غيرى عاقبونى
 ما كان يشفع بى لى — هم فرط ما تجرى عيونى
 فبرغم سعي واجتهادى عشت فى ذل وهون
 كم كان يصف فى دماغى الة — ض ربح من جنون
 فأصبح فى وجه الطفا — ة تمرداً هيا اقتلونى!
 لكنهم بالقتل قد — ضنوا لئلا يرحمونى
 لولا ابتسامتك اللطية — نمة عند ما آوى مساء

وتقبيلى ووضعى فوق صدرك

وألفاظ تواسى جرح قلبى

وضعى من حناك نحو نحر ك

لكنت قضيت يا أماد بؤسا

بنى! أموت باسمه لاجلك

الام —

ألا تدرى بأنى فيك أحيى

وفى ارضاء قلبك كل سعي

ولأندم اذا مامت سعيًا

فؤاد — فى ظلام الا كدار والبؤس سلوى

أشرقت لى فلاح فجر هنائى

هي كانت دواء روجي فأضت
بالتجنى يا وريح نفسي دائي

أنا والحب يا أماء عفواً
أأحرم من أحب لاجل قفري
أليس لمدم مثلي فؤاد
أليس لمعدم مثلي فؤاد
يخلق في سما الاحلام حراً
عزمت على الذهات دحي اليها
فأسكب عبرتي غداً لديها

قضينا في الحياة على هنائك
فلا وأبيك لا أرضى بذلك
يحبب في الغرام له المهادك
يرفرف في الملا الاعلا هياما
ولا يخشى عتاباً أو ملاما
ولو اني لتيت به الحماما
عساها أن تشاطرني الغراما

ويخرج لفوره

الام — رحماك إبقى بقربي سخقت حبة قاي -

الفصل الثاني

فؤاد — يدخل غرفة سلوى ليلا
قد سهل الحب عندي كل معضلة
لا بد أحظى ببقاياها ولو وردت
ان جل صبري واقدامي فلا عجب
فكيف اوقظها . . . ؟ لله منظرها
ماذا أرى . . . ؟ حلم يرويه مبسمها

يا ليت روجي في ذا الحلم تتقل
لعل في ليل يأسى يشرق الامل
فتجتلي ما مكاني في سريرتها
سلوى — تستيقظ مذعورة وتصرخ
ويلاه من أنت قل لي

انا القليل بحبك

فؤاد —

لا تجزعي يا حياتي اذا وجدت بقربك
أزد أعلم حتما أين السبيل لقلبك
سلوى — اذهب كما جئت حالا

فؤاد — لا تطرديني بربك

سلوى — قد انتهكت عتوا وضاعة حرمانى
بأى حق ودين الى كناسى نأتى
أما خشيت إلهاً أما خشيت حماى
اليس ينباك عقل عن هذه المفات
ان الفضائل تقضى بصون طهر الفتاة
فهل ظننت بأنى أنقاد بالترهات
ان كنت تزعم حبي (فلا تحاول أذانى)
اذهب كما جئت حالا

فؤاد — سلوى ! اسمى لى نقالا

سلوى — بعد ما قد سمعت عنك لعمري

لا أرجى من الرجال وقاء
كيف خادعتنى زماناً طويلاً

كيف ذاك الغرام كان رياء
كيف اقمعتنى بحبك زورا

كيف تغوى غريرة عذراء
كنت اسمى من الزنا بق طهراً

كنت أبهى من الزهور رواء
كنت ممن يقول بالحب حقاً

ساء ظنى بالحب ساء وساء

اذهب كفأك جدالاً....

فؤاد يركع على قدميها

رحماك رحماك يا ربة الحسن
 ان تخافني ظني اهلك من الحزن
 طوبى لمن يحظى بالتقرب والوصل
 يحلو لمرآك يا منيتي قتلي

سلوى — هل تنخدعن مثلي

فؤاد — فأى خداع بعد ما برح الهوى
 كأن فؤادي شد في سلك كبريا
 فرقي لحالي لا تزيد مرارتي
 فكيف لي لمة قد طفت بالصرها مآ
 الى ان يلوح الفجر في الافق هازئاً
 يميناً لئن اسرفت في الصمد والجفا

فما لي بما قد كان منك يدان
 فلا تطرديني كالسيء اهانة
 كفاني ما حملت منك كفاني

الحب ضيع رشدي وقادني بزمام
 لا ترهقيني ملاما فليس يجدي ملامي
 ما لي سواك مرام فأنت كل مراني
 روعي نهم قنوطاً في حندس من ظلام
 أني سأهلك حتماً بلوعتي وهيامي *

سلوى — هذا كلام فدعني من مخادعة
 شراك مين باسم الحب تنص بها
 است الفتاة التي بالتقول تنخدع
 لصيد قلبي وحاشا أنني أقع

* * *

كم فتاة بهفوة قد أضاعت
 ففدت في الحياة عاراً وخزياً
 والذي قادها الى السوء يمسى
 ما تمنته من جميل الأمانى
 ورموها في حمأة من هوان
 مستريح الضمير والوجدان

من قديم شرائع الناس تقضي بسقوط الفتاة لا الفتيا
 أي هذا المريد بالحب نفعا ولك أكرت من رقي الشيطان
 فإذا كنت تدعي الحب حقاً فأتني ان صدقت بالبرهان
 فؤاد - ان عيني تشهدان بحبي فهما يغنيان عن ترجمان

. . .

إذا ما كان حب المرء حقاً فليس شرائع الانسان تجدي
 فحكم الحب أعمل كل حكم وحكم الحب أصل الشر عندي
 سلوى -

تعاسة وشقاء

تلهف وبكاء

فالحب داء عياء

فؤاد - لم ترفضين غراما لم يدن منه رياء

سلوى - كفا ، كففاك . فاني من الغرام براء

الدين يقصيه عنى وعتى والحياء

خداع مثلك مثلي جريمة شعاء

تظن ان العذارى قلوبهن هواء ؟

فؤاد - سلوى . ارحميني ارحميني

سلوى - اذهب فذاك شقاء

فؤاد - اواه تبغى هلاكى

ماذا يحل بأى اذا نعت اليها

وشاهدتني عظاما محطامات لديها

فلست أخشى مماتاً لكن أخاف عليها

أى ؟ جنيت عليك أى اغفرى لى ذنوبى

تجدي بعد موتى لا تهلكى بالنحيب

قولى استراح وحيدى من مهلكات الخطوب

أنى إذا الشمس مالت وأذنت بالمغيب
فادعى لروح محب فاضت لاجل الحبيب
ثم يلتفت إليها

وأنت يا من بقاى لعبت حيناً طويلاً
حبك أورث جسمى ضنى وعقلى ذهبلاً
حاولت أسلوك جهدى فما وجدت سبيلاً
أنى لقلبي المعنى ان يستريح قليلاً
سلوى إذا الموت أرخى على شبابه سدولاً
ستدبين أيباً بالحب صار ذليلاً
وتحملين بما قد جنيت غماً ثقيلاً
سلوى ! سلوى !

أنى أقيم بموتى على غرامى دليلاً
ويلقى بنفسه من النافذة .

سلوى — لا لا ! تصبر قليلاً أواه راح قتيلاً

الفصل الثالث

الشيخ البستاني الذى له المصام بالحادثه والذى كان يراقب فؤاداً عن كئيب،
يستنجد بآبائه ويحملانه لكوخهما مهشما —

البستاني — لهفى على هذا الشباب الناضر لهفى على هذا الجمال الباهر
لهفى على آمالك الغر التي ذهبت سدى كذهاب أمس الدابر
كم كنت فى الليل البهيم تطوف بالـ قصر المنيع طواف لص حائر
متوارياً بين الجذوع ملفعاً خوف العيون ، بثوب ليل سائر
قد لذت بأوت الرهيب من الهوى

والموت قد يغدو ملاذ الخاسر

والآن ما يجدى التلهف والبكا

هيا إتنا ولدى ! بأس ماهر

سلوى - تآنى للكوج بهيئتها التى يكأت بها فى الغرفة وترتمى على فؤاد وتقول:
 فؤادى أفق ولو لحظة قفلى يكاد أسى ينفطر
 فما كنت أدرى حبيب الفؤاد بأنك ياسا كذا تنتحر
 فيا ليت أنى بمالى وأهلى ونفسى أدرأ هذا الخطر
 ذا مت بعدك يا مهجتي بكاء وحزنًا ألا تغتفر
 فطول حياتى سأذرى الدموع عليك التياعا ولا أصطبر
 وحزنى غليك كليل بهيم بعيد الحواشى اذا ما نشر
 سـأحيى اللىالى بنوح يلين صليب الحديد وقاسى الحجر
 ففى كل آن أموت التياعا وفى القبر يختم ذاك الكدر
 يدخل الطبيب الذى قد علم جليلة الحادثة من ابن البستانى فتستقبله سلوى
 بجزع هائل فيرى من الحكمة دفعها بالتى هى أحسن

سلوى - طبيب ! بربك قل لى الصيـح أحقاً فؤاد غدا فى خطر
 الطبيب - أضعت رشادك يا إبنتى بحالك هذا وهذا الشعر
 تجميئين ليلا بهذا الهلوع فأئن الحياء وأين الخفر؟
 ثم يلتفت للبستانى فيأمره بأخذها

يا شيخ ، قدما للقصر
 قبل أن يفتضح الامر

وبعد فخص فؤاد يقول:

فيا للمصاب فهذا القتى قريباً سيلحق بالغابرين
 وكيف ينال شفاء وقد تلقى الرصيف بحر الجبين
 سأبذل جهدى لا تقاذه ولو كان حتما يموت رهين
 ثم يفكر ملياً ويقول

نحي بأوهام وتقضى بها يا أيها الانسان ما اجهدك
 الحس يأتبك بالآله والعقل يرميك بغير حلاك

. . .

الاب يصادف ابنته والبستاني في مدخل القصر فيصرخ :
لى ساعة وأنا افتش عنك ما كان يؤمل مثل هذا منك

. . .

أجيبى أجيبى ولا تكتمى فنى صريح أحب الصريح
أثرت شكوكى بهذى الفه ال فمراك مسرى شنيع قبيح
دمع هطال وهذا البلبال
ما هذا الحال

البستاني - رحمة سيدى سلوى ورقنا
سلوى - عم دعنى بذنب غيرى أشقى
الاب - هيا انصرف قبحت من شيخ بلید
هيا انصرف سوطى على الجانى شديد
سلوى - أبت ! قضيت على هنائى ومحوت فى الدنيا ربائى
أنت الذى عرفتنى بفؤاد من دون البشر
واخترته خدناً وفيا فى مقامك والسفر
كم كنت تنعته بكل فضيلة فى كل حين
ونخصه بدخول قصرك ، ذلك الحصن الحصين
حتى اذا ما الف ال قلوبان والحب انتصر
أغاثمت بابك دونه أفكان قلبك من حجر ؟

سلوى ببيئة تقليد والدها حينما كان يتنعمها بكذب فؤاد

هذا الغلام مخادع ما للهوى فيه أثر
قد غره المال الغرور فراح يطمع بالبدر
ذاك الكذوب كما زعمت الآن من أجلى انتحر
من شرفة القصر ارتمى فعظامه امست كسر
الاب - أفؤاد عندك تحت جناح ال ليل ! تلك من الكبر

لنكنا الملاك أنيتا بجناية لا تفتقر
 دنست اسرني التي كانت فخاراً للاسر
 لطاغت شدي بالفضيحة حين قوسني الكبر
 سلوى — ربي! أأرهم بالخيانة
 الاب — لا ايس للجاني مفر هيا ، استمدى للسفر

* *

أم فؤاد — أقضى الليالي بسكب الدموع وفرط الملوغ وآه الكد
 وما من معز يزيل الهموم وما من صديق وما من أحد
 يغشي فؤادي ظلام كثيف ومصباح سعدى أراه خمد
 وكيف اصطباري وخطب الزمان ألان قناني وأفنى الجلد

. . .

فؤاد أجبنى لم تغيبات عامداً وهل أنت من بعد التغيب راجع
 ذهبت ولم تحفل بفرط كآبتي ولا دمعى الهطال عندك شافع
 ذهبت وابتيت الهموم ثمضني لها في سويداء الضمير تتابع
 فاني سأقضى عن قريب تلهفاً ويهدأ قلب اقصدته القوارع
 تركتك عند الله ربي وديعة وعند الآله لا تضيع الودائع

يقرع الباب —

الباب يقرع بعدما الليل انقضى!

من أنت يا هذا
 ابن البستاني — انا الداعي رضا
 رضا — سيدني
 فؤاد حي
 لا تجزعي
 عندنا
 فالامر غير جل
 اخطاه سهم الأجل

* *

قد كاد يلتقى حتفه لما تردى من عل
 لـكن نجى بعجبة فكأنه لم يفعل

الام ترتجى على ولدها فيفتح عينيه ويتم بصوت خافت «أماه» ويفارق
الدنيا، والام تصرخ ولدى فيرفعونها عنه جثة هامدة. البستاني وولده يبكيان والطبيب
يفحص الجثتين ويقول
الطبيب — قضيأ مما

* * *

بعد مرور بضعة اشهر من هذه الفاجعة
سلوى — فواندى حيث الندامة لا تجدى وبالوعتى حتى يواربنى لحدى
تمزجى الايام والحزن دائب يعيد تباريح الفؤاد كما يبدى
أبعد شهيد الحب أصبو لسلوة وارجوا نقضاء العمر بالخط والسعد
دعوني أمت فى حسرتى فأنا التى كتبت على نفسى التعاسة عن عمد
والد سلوى — قد جاءنا خاطب مثر يضارعنا
بالمال والجاه والسلطان والحسب

ما ذا تقولين

سلوى — لا ابغى الزواج
الاب — ولم ؟ فلست أدري لهذا الرد من سبب
وبعد قد قلت قولاً لا مرد له فأرضيه بعلاؤالا فأحذرى غضبى
انى عليم بمالا تعلمين فلا تحاولى عبثاً فى رد ذا الطلب
سلوى — لالست أبغى الزواج عمرى
الاب — والآن تريدن عيش طهر
سلوى — بالله يا أبتى ارحمنى كفاك فما لا لست اهوى حياه قر
قلبي الضعيف غدى بالهم منصداً نخالنى ما استطعت امرى
والآن تطلب مالا أستطيع له بقيت اقوى على الاكدار والسقم
الاب — لا لست أرجع عن قولى والعين تقطر مما نالنى بدم
سلوى — ابى تريد اذا قتلى ؟ حملاً فدعنى وما التى من الألم

الاب — طاعة الوالدين فرض فليس يجديك رفض
سلوى لعلها بعناد أبيها ترضى مكرهة وتضمر بنفسها شراً

هفت المرسى

سلوى منفردة تقول

سأقلب هذه الافراح عن عمد الى ماتم
واصبع حلة الاكليل رأى عيونهم بالدم
اني ان شاهدت عينا — كـ ما تجنى الاتنام
ولكن لا تعرأذناً وبالمال الكثير أنعم
وبالاشلاء لا تحمل وبالاتات لا تهتم

...

بينما النسوة يزغدن حولها على الاصول المعروف في القمطر الشامي باسم (المناهين)

ها ها ... ميل على الجنبين أصيلة الجدين

يا درة الغواص يا بهجة العينين

ها ها ... ابوك لاقصاب كلا ولا نجار

ما أنت بنت الفقر يا وجهة الانظار

ها ها ذا عرشك السامي « باشا » ابن « باشا »

فيو الجليل القدر في الناس ما عاشا

وبينما نغمات (القوروس) تصدح والنسوة تزغرد حولها

تشهر خنجراً وتخطبه

سلوى — منقذى من مرارة العيش مرق

مهجة مسها من الحب ضر

بعد ما أردت المنون وراحت « بنوادي » فليس في العيش خير

سوف تبقى الارواح منا ظماء تترجى ان ينقع الفل حشر

منقذى! دونك السويداء منى فبقائى بعد الاحبة كفر

وتطعن صدرها عدة طعنات...

فصول مصورة في التاريخ الطبيعي

الخزطوميات أى

البروبوسيدات - Proboscidea

تاريخ نشوئها ونحوها وهجرتها في القارات العظمى

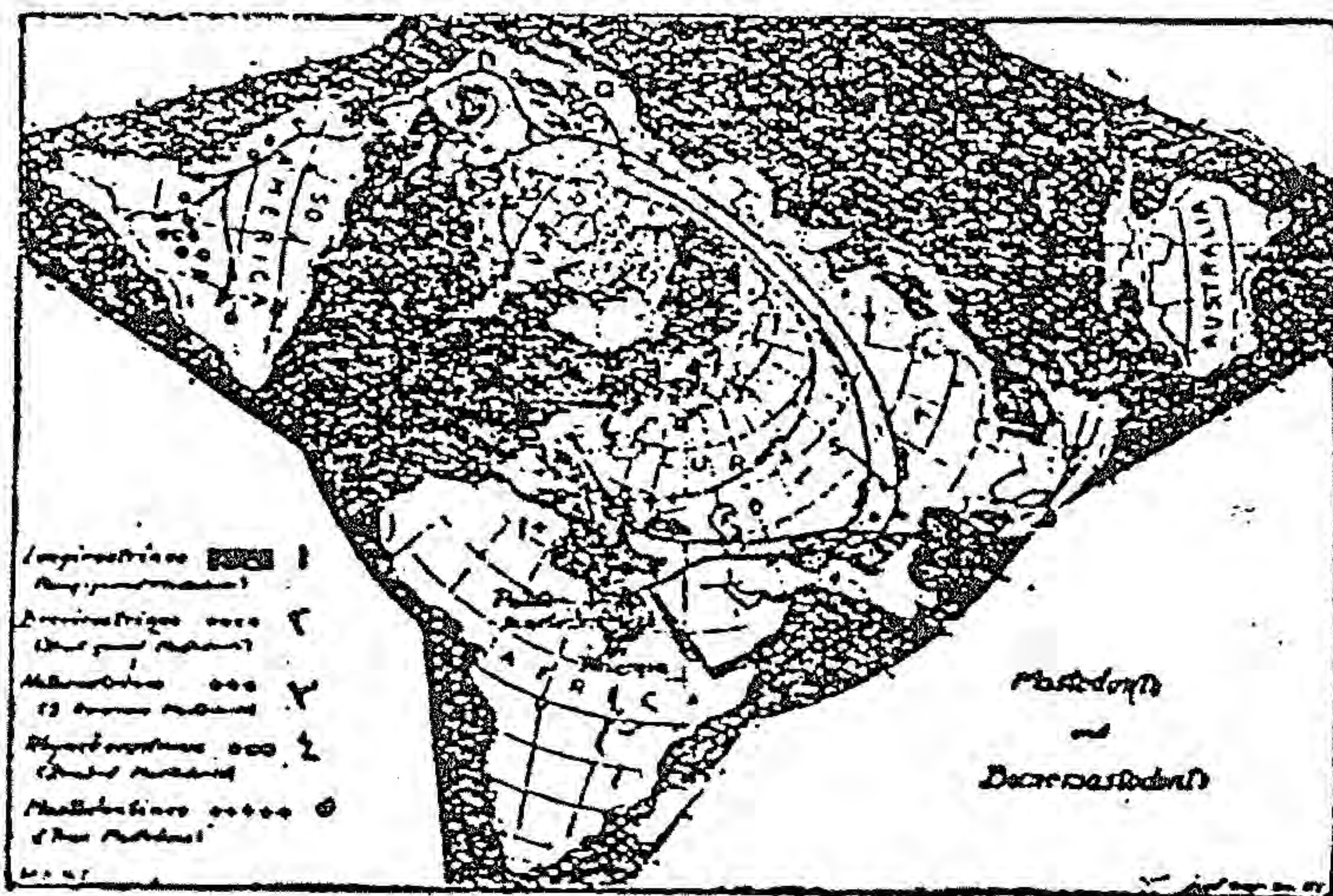
للعلماء المعروف «هنرى فيرفيلد أوزبورن» الأمريكى مؤلف كتاب من «الاغريق الى داروين» ابحاث طريفة في أصل الفيلة الحالية وكيفية نشوئها وهجرتها التى هاجرت بها منذ بدء العصر الميوسينى ، وهو احد الاقسام التى يقسم بها الزمان الثلاثى Tertiary Period في علم الجيولوجيا. والعلماء «أوزبورن» فضلا عن أنه من كبار الزولوجيين - علماء الحيوان - يعتبر من كبار البالتولوجيين ، الباحثين في الحفريات، أى الآثار العضوية القديمة التى طمرت واستحجرت فى باطن الارض.



تبين هذه الخريطة نظريا طرق المهاجرة التى سلكتها اسرنا الماستودون من اواسط افريقية، الموز لها فى الخريطة بنقطة صغيرة سوداء واقعة فى شمال مصر، الى كل القارات المعروفة ماعدا اوستراليا. (والى الان لا يعرف المهد الاصلى الذى نشأت فيه الاسرة الفيلية)
وانتد استكشف هذا العلامة فى سنة ١٩٠٣ فى اقليم الفيدوم بمصر بقايا ثلاث

أفراد من سلالة « المورثيريوم » - Moeritherium - . و كثير من بقايا « الفيوميا Phiomia » . وكان كثير العدد ، و قليل من بقايا « الماستودون الحفرى » Palaeomastodon وكان نادر الوجود ، وهو الذى يرجح ان يكون الاصل الذى نشأ عنه الماستودون الأمريكى .

وكان لاستكشافه هذا أثر حمله على ان يتابع أبحاثه في البرو بوسيديا - Proboscidea أى الخرطوميات ، فتتبع آثارها مذ كانت في مأهلها الاصلية في افريقية « وإيراسيا Eurasia » - الى مهاجرها الجديدة في امريكا . حتى قال بأن نزعة شديدة الى الهجرة والتنقل قد تمكنت من الخرطوميات في العصور الاولى شبيهة بنزعة التطواف التى ملكت زمام الجماعات البشرية في العصور القديمة . والى هذه النزعة يعزو العلامة « أوزبورن » السبب فى نشوء تلك الصور الشتى التى تمتاز بها أسرة الخرطوميات .



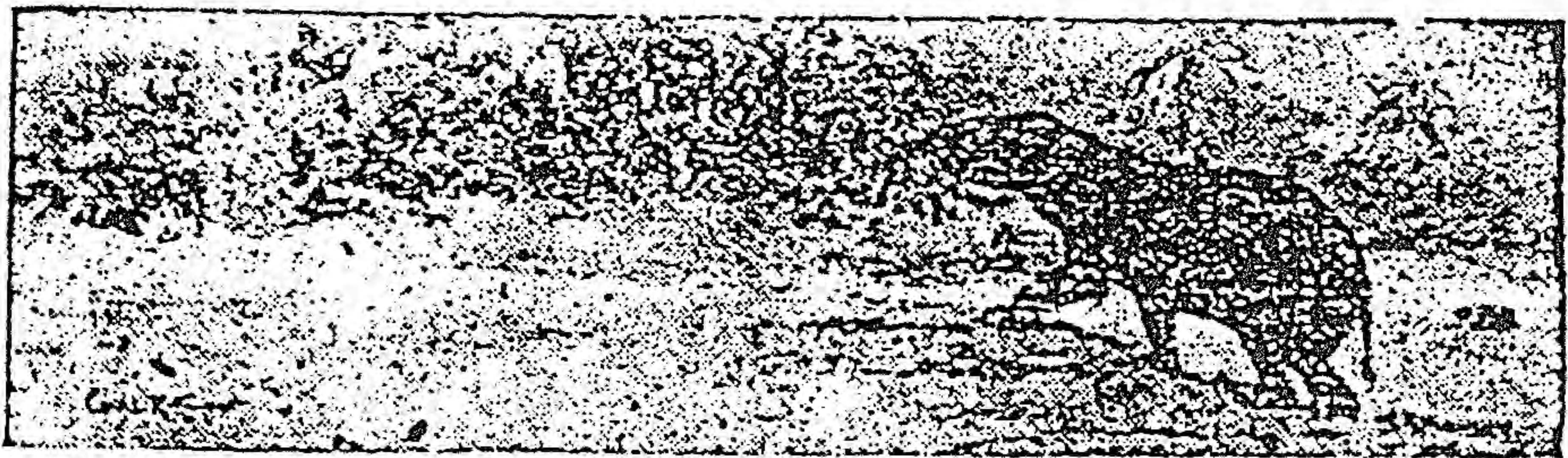
تبين هذه الخريطة الطرق الحقيقية التى سلكها الماستودون الطويل الفك والماستودون الحقيقى من مأهلها الاصلية التى نشأت فيها فى شمال افريقية . وأيضا الطرق التى سلكتها سلالات أخرى وكل رقم من الارقام العربية يدل على هجرة سلالة منها كالاتى (١) الماستودون الطويل الفك (٢) الماستودون القصير الفك (٣) ماستودون الجنوب (٤) الماستودون المنقارى الفك (٥) الماستودون الحقيقى

ولقد قسم « أوزبورن » الخرطوميات الى اسرتين تحتويان على ستة عشرة سلالة ، وذكر ان ستة منها قد قعدت بها الظروف عن أن تصل امريكا .

أما هذه فهي المعروفة بالأرقام ١، ٢، ٤، ١١، ١٢، ١٦. ويقول بأن تعيين الوقت الذي هاجرت فيه عشرة الصور الأخرى، لا يمكن تحديده تماماً. غير أنه يذكر أنها في هجرتها إلى أمريكا قد سلكت طريق بوشاز بيرنج، وكان في زمان هجرتها برزخاً وأرضاً يابساً.

ولنتقل إلى تقسيم انثروپوميات. فقد قسمها «أوزبورن» إلى اسرتين : الأولى الماستودونيه Mastodontidae والثانية الالفانتية Elephantidae أى الفيلية والاسرة الأولى تحتوى على عشر سلالات : هي -

١ - الموريشريات - Moeritheres - وقد اخذ اسمها من بحيرة « مواريس » Moeris المعروفة عند اليونان القدماء ، وهى بركة قارون والمعروفة عندنا في إقليم الفيوم . والموريشريات فصيلة من أسرة الماستودون أمفيبية العادات - أى تأهل البر والبحر - قطنت أنهار إفريقيا الشمالية وبحيراتهما.

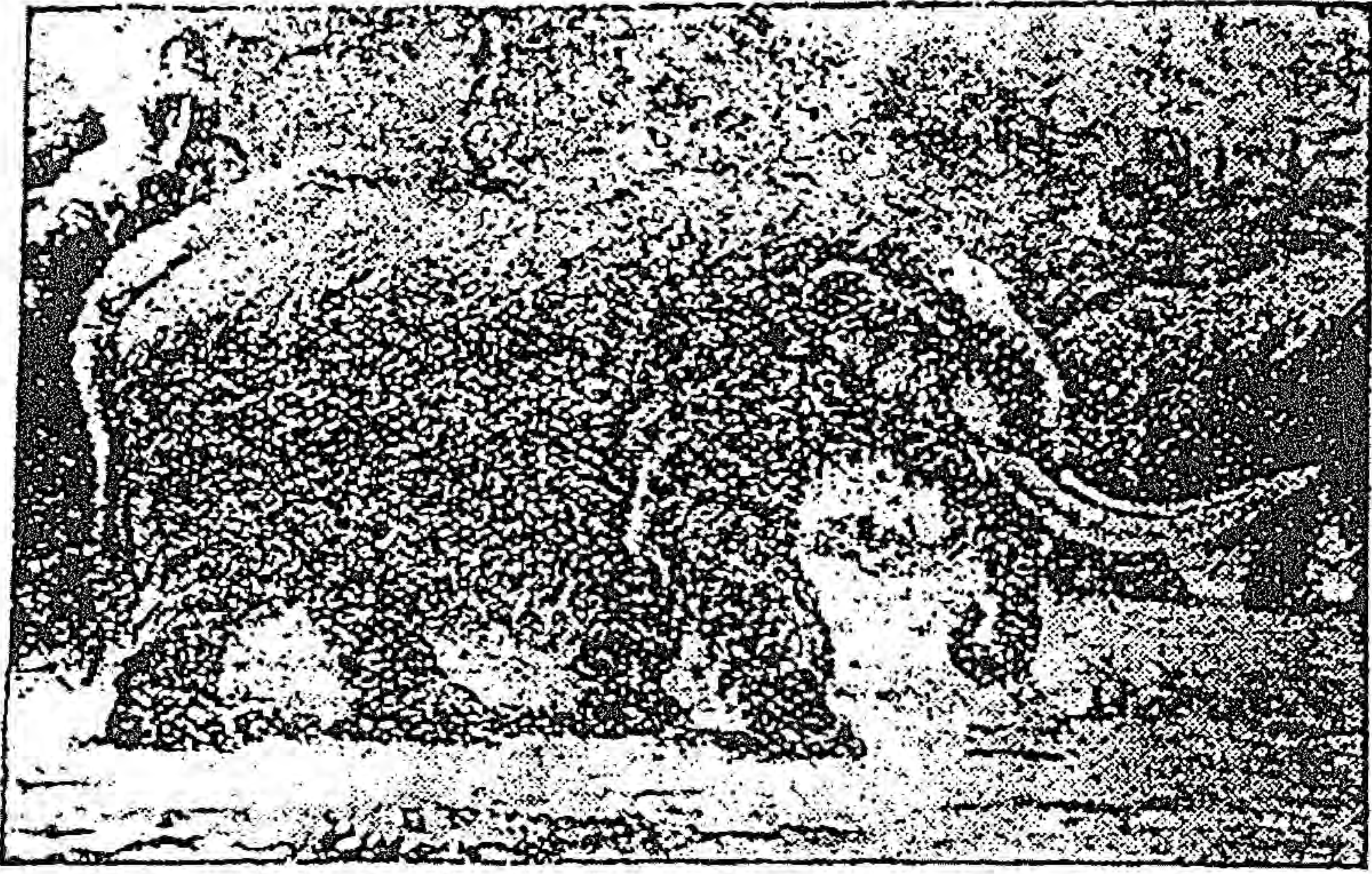


موريشير يوم على شاطئ النيل في المصور الأولى ، ويدعى المكان الآن مديرية الفيوم في مصر الحديثة . (عن اوزبورن ونایت)

٢ - الدينوثيريات - Dinotheres - وهى سلالة من انثروپوميات كان منها أنواع كبيرة الأحجام مروعة المنظر . عاشت في أوروبا وآسيا في العصر الميوسينى Miocene وأوائل العصر البليوسينى - Pliocene

٣ - الماستودون الحقيقي - وقد تنسبت هذه السلالة عن الماستودون المنقرض ، الباليوماستودون Palaeomastodon أو اسفري ، الذى عاش في العصر الأوليوسينى - Oligocene - في مصر . وقد عثر على بقاياه في بقاع متفرقة من الرواسب النشبية - الفحم الحجري - في أوروبا. وقد ظهر أولاً في أمريكا في أواخر العصر الميوسينى ، وقد تدرج في الضخامة فكان في أواخر العصر الجليدى - Glacial

الماستودون العملاق Giant Mastodon الذي أُمِلت به غابات أمريكا



الماستودون الأمريكي — Mastodon Americanus — عثر على آثاره في القيمان
البايوستوسية بالقرب من نيويورك (عن أرزبورن ونابت)

٤ — الماستودون المتصل الاسنان أو الزيجولوفودونت Zygolophodont ظهر

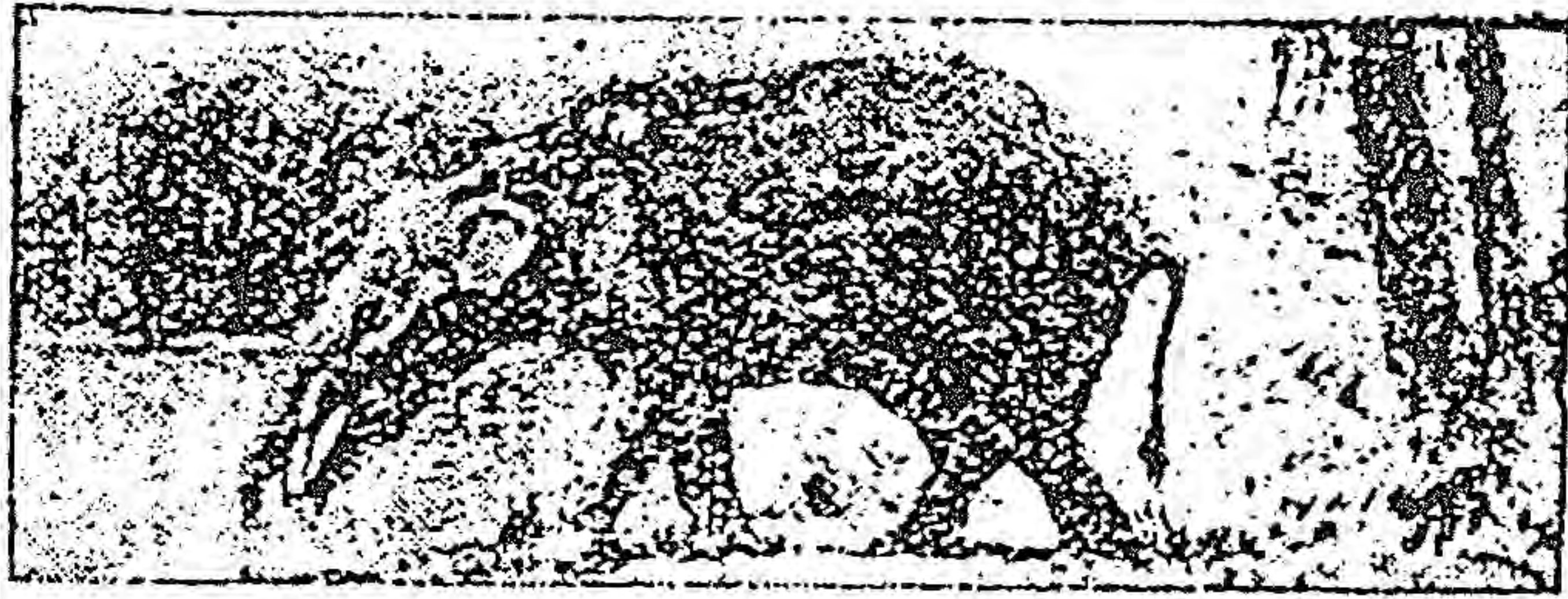
أولاً في العصر الميوسيني في أوروبا. نشأ منه ماستودون بورسون Borson Mastodon
الذي عاش في الغابات التي كست أوروبا وآسيا في نهاية العصر البليوسيني . وهو
قريب الأصرة جداً بالماستودون الحقيقي .

٥ — الماستودون الطويل الفك أو البونفيرستين girestrinae : ما وقد تنسل عن



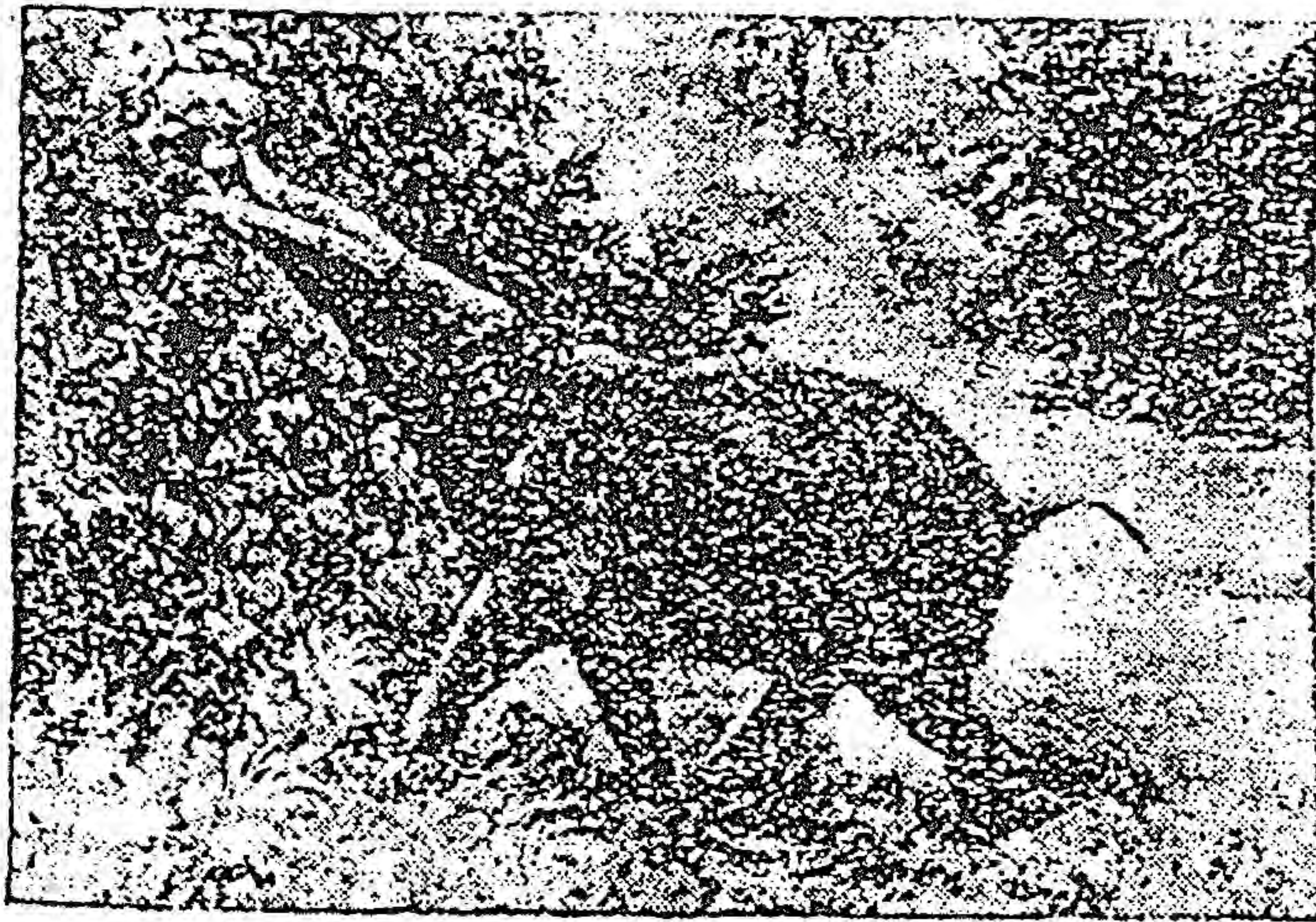
الماستودون الطويل الفك Trilophodon Giganteus كما عثر على آثاره في القيمان البليوسينية
السفلى في جنوب داكوتا

«الفيوميا» *Phiomia* الطويل الفك الذى عاش فى مصر خلال العصر الاوليوسيني، ثم تطور تدريجا حتى صار الحيوان الذى ينطق عليه اسم «انثريافودون» *Triophodon* الذى عاش فى أوروبا، وهاجر مخترقا أوروبا وآسيا فى العصر الميوسيني،



المستودون الطويل الفك *Phiomia Osborni* كما كان يرى على شواطئ النيل فى العصور الاولى فى المكان المعروف الآن بمدينة الفيوم بمصر

وانتشر فى نبراسكا وكنساس وجنوب داكوتا الكولورادو فى العصر البليوسيني
٦ — التترافودون — *Tetraophodon* — وفى الاسم إشارة الى رؤوس أو بروزات تكون على حافة الاضراس الأمامية. وتثر عليه أولا فى أوائل العصر البليوسيني فى إبلشيم بالمانيا وفى بيكرمى ببلاد اليونان. وهاجر مخترقا بلاد الهند ودخل امريكا أو آخر العصر البليوسيني عندما كان العصر الجليدى على وشك الابتداء
٧ — السيريدنتين — *Serridentines* — وفى هذا الاسم إشارة الى التسننات المنشارية التى تكون فى مؤخر اضراسه من الداخل والخارج. وأفكاه



المستودون ذو الاسنان المنشارية *Ridentitus Prductus* برعى الاشجار كما وجد (هيكه على صورة تامة تقريبا) بالقرب من كلارندون فى شمال تكساس

متوسطة الحجم . وعثر عليه أولاً في رواسب الغابات الأوروية خلال العصر الميوسيني . وهاجر إلى إقليم أمريكا الجنوبية وتكساس وفلوريدا وعاش هناك حتى أواخر العصر البليوسيني .

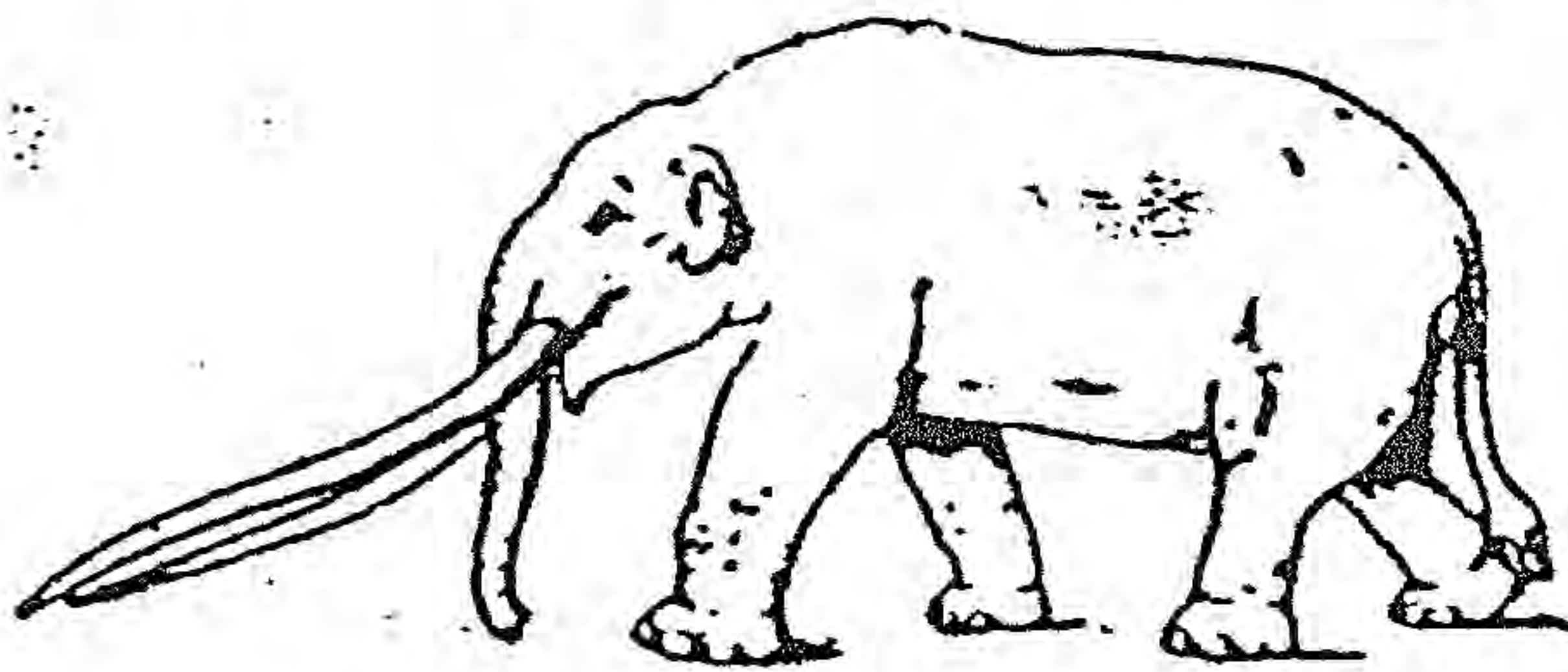
٨ — الماستودون المنقاري الفك أو الرينكور وسترين Rhynchrostrines ويمتاز على الصور الأخرى بانحناء أنيابه انحناء كبيراً إلى الأسفل بما يشابه الدينوثيريات Dinotheres ولم يعرف أصلاً في أوروبا . واستكشفت آثاره في كولورادو وكاليفورنيا وأمكن العثور عليها في بلاد المكسيك .

٩ — النوتور وسترين No'torostrines ومعناه ماستودون الجنوب ، لأن هذه الحيوانات وجدت عادة في كاليفورنيا وجنوب أمريكا وكانت قصيرة الافسك ككلاً مستودون الحقيقي تماماً .



جهور من الماستودون الأمريكي Mastodon Americanus على شواطئ نهر أوميو ، حيث عثر على بقايا هذه الحيوانات لأول مرة سنة ١٧٣٩

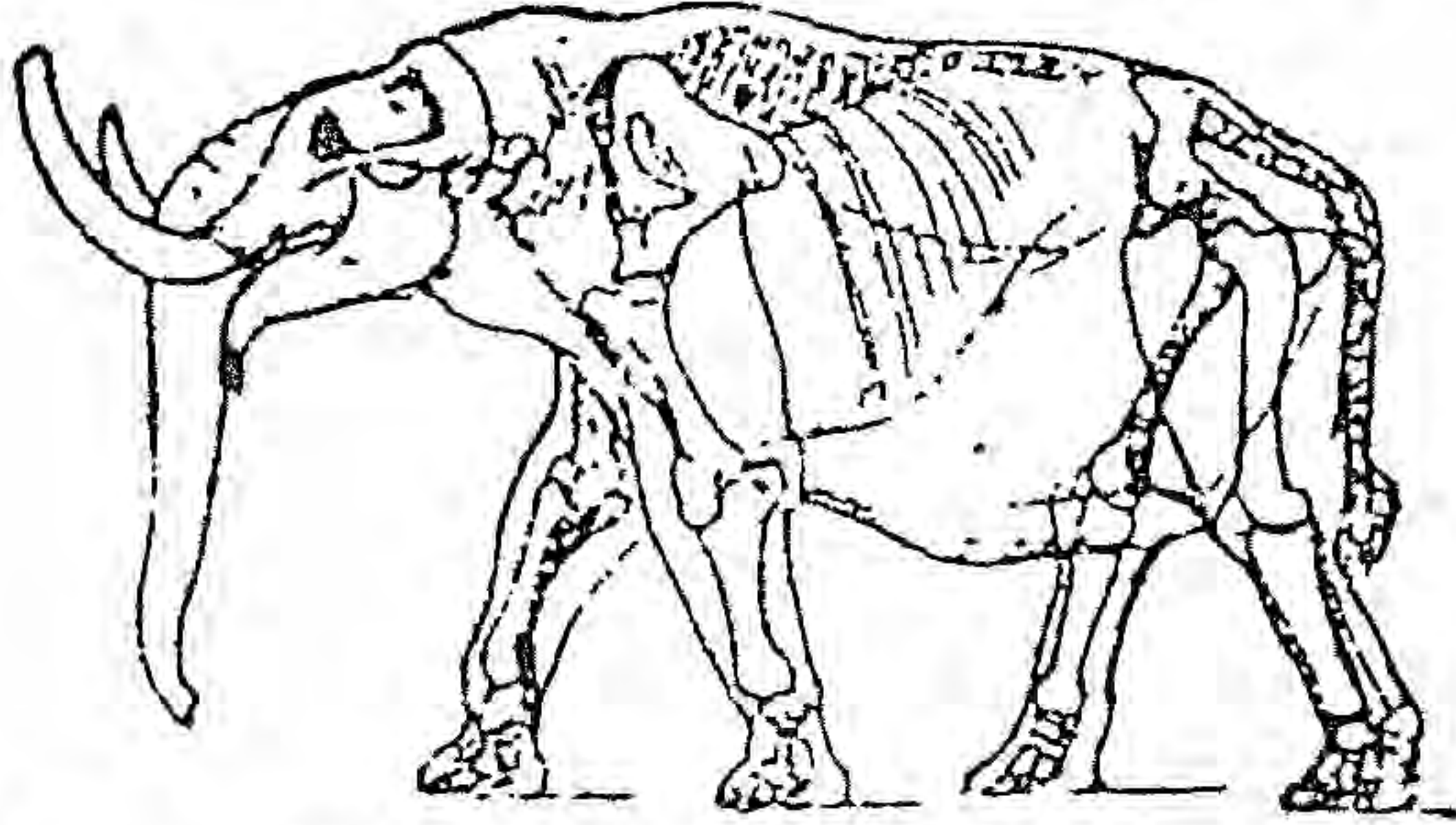
١٠ — الماستودون القصير الفك Brevirostrines — أول ما عرف من أنواعه الماستودون المستقيم الأنياب في أوفرني بفرنسا في العصر البليوسيني . وهاجرت



الماستودون القصير الفك Anancus Arvernensis الذي وجدت آثاره في أوفرني بفرنسا وهو كثير الظهور في القيما ، البايوسينية العليا في إيطاليا وفرنسا وبريطانيا

أنواعه إلى الهند ومضت في الحجارة حتى بلغت غربي نهر اسكا في أواسط العصر

البليوسيني ، وعاش في اقاليم امريكا الجنوبية حتى أوائل العصر الجليدي



المستودون القصير الفك الذي وجد في جنوب أريزونا Stegomastodon Arizona Gidley كما استكشفه مستر جدلي في قيمان سان بدرو

واما الاسرة الثانية أي الالفاتية أو الفيلية ، فتكون من بست سلالات : وهي

١١- الأستيجودونت Stegodont أكثر قدماء من الفيلة . وتتبع الباحثون آثار

هذا الحيوان في العصر الميوسيني في أوروبا الى غابات الهند . وجزائر الهند الشرقية وبلاد الصين

١٢- اللوكسودونت Loxodonte الفيل الافريقي . وتمتاز هذه السلالة باضراسها

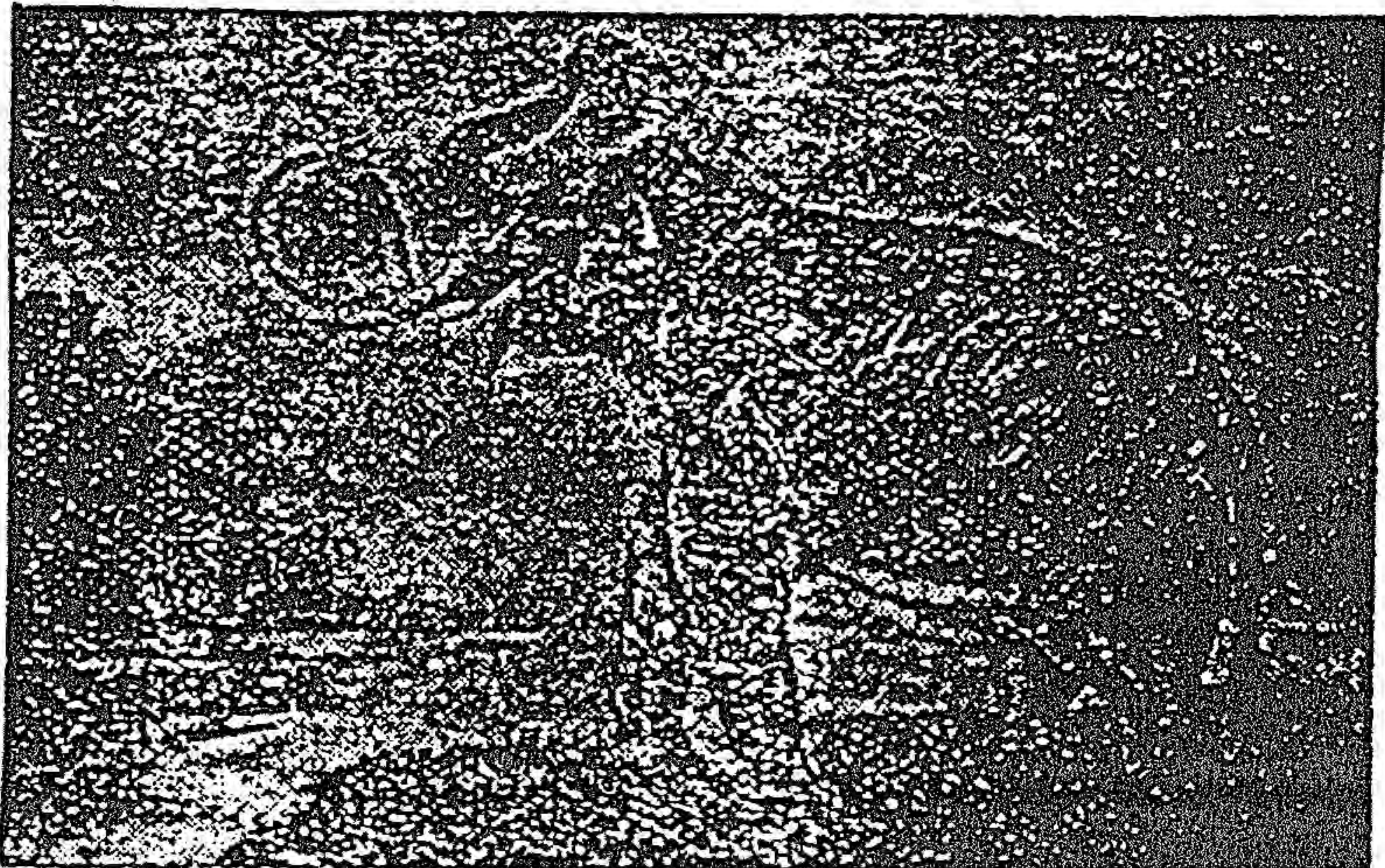
الشبيهة بشكل المعين الهندسي . ومن هذه الفصيالة صور ذات ضخامة وتظم في

الهامة قطننت جنوب أوروبا والهند ثم اخذت تتضاءل تدرجا وشيئا فشيئا حتى

كان منها تلك الانواع الصغيرة التي قطننت جزائر البحر الابيض المتوسط .

١٣ - الارشيد يسكودون - Archidiskodon - أو موث الجنوب . عرف

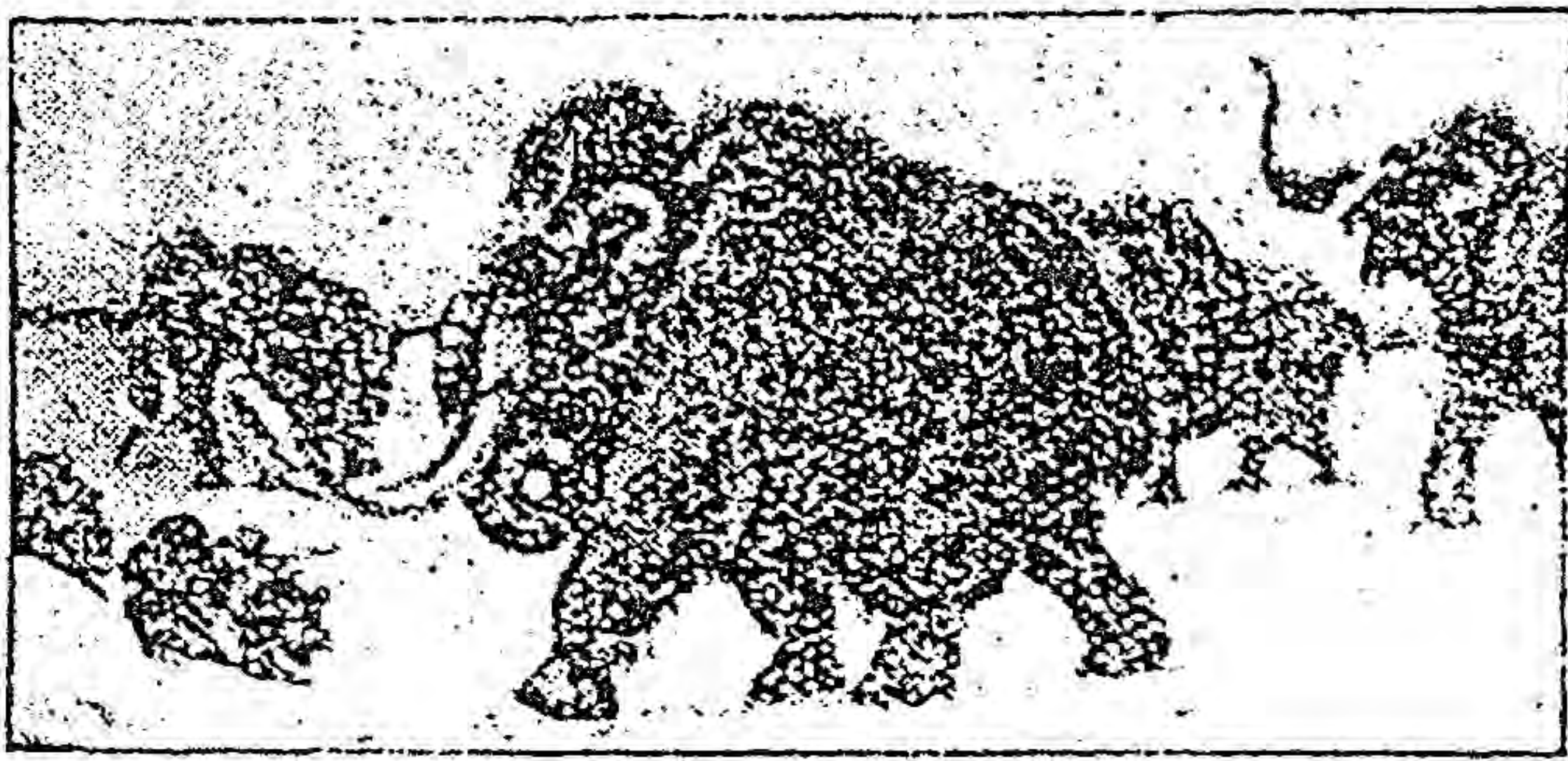
اولا في بلاد الهند ، ثم هاجر غربا الى جنوب أوروبا ، وشرقا من طريق برزخ



الموثة الاكبر Archidiskodon Imperator في نبراسكا وتكساس (عن اوزبورن ونایت)

بيرنج الى امريكا ، حيث وصل في ارائل العصر الجليدي وهناك تنسل عنه
المدرث الاكبر - Imperial Mammoth

١٤ - البارليثوس Parelephas أى مدرث المنطقة المعتدلة ، ويعتبر
صورة تكميلية للفيالة الحقيقية . عرف أولا في أوروبا ، وتتبع الباحثون آثاره
الى امريكا حيث ظهر هناك في اواسط العصر الجليدي . وتدل عند في تلك
الاقاليم المدرث الجفرسونى ، نسبة الى جفرسون Jefferson



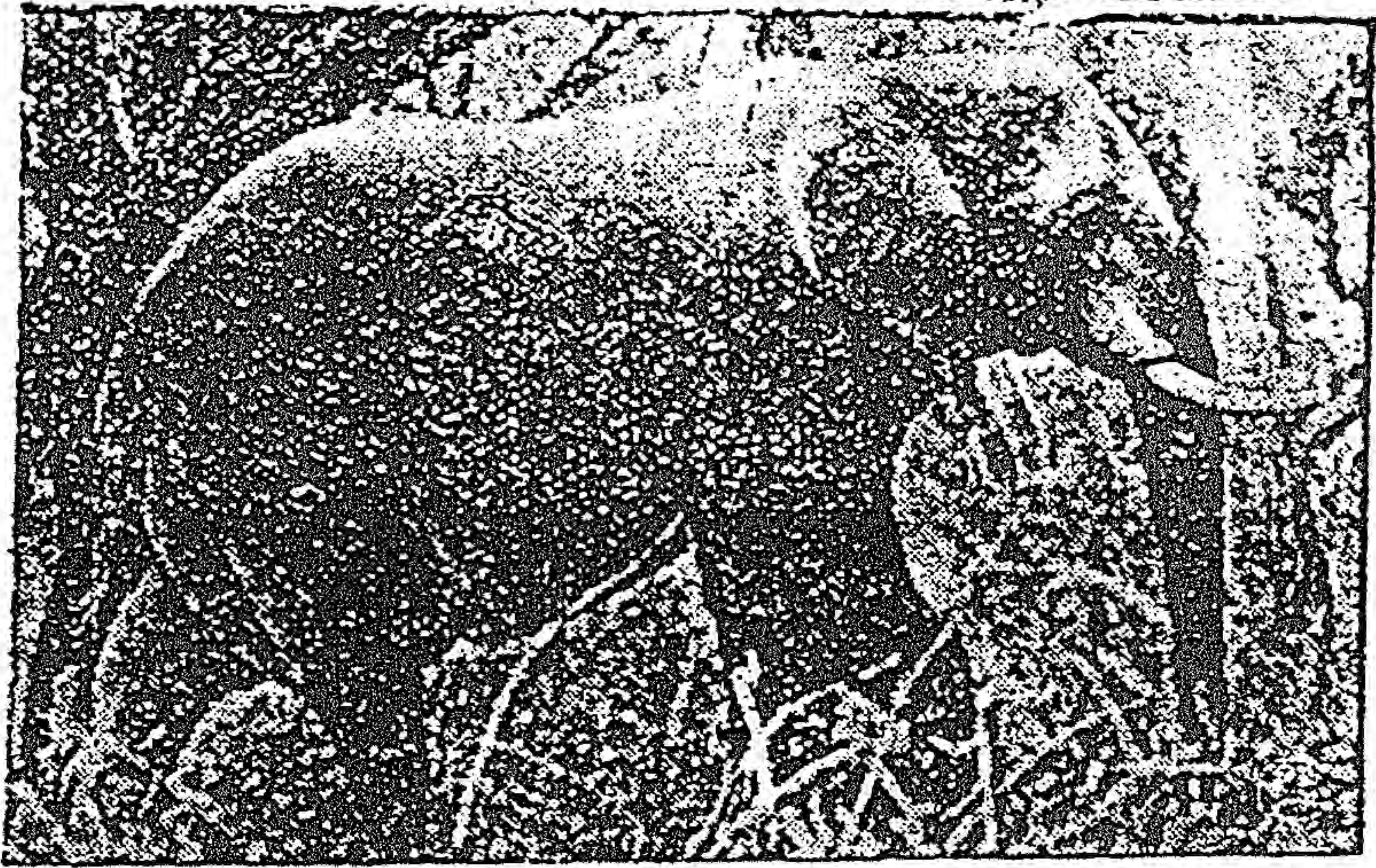
المدرث الورى أو الصوفى Mammonte is Primigenius على نهر الـ دوم بفرنسا في
نهاية العصر الجليدي الاخير

١٥ - الالفوس بريجينوس Elephas primigenius او المدرث الصوفى أو
الوبرى ، وقد سمي بالاسم الاصطلاحي الذى ذكرناه بعد بلومنباخ البحاثة
المعروف ، وقد استكشفت آثاره أولا في شمال المانيا وفي انجلترا . وقطع مهاجراً شمال
آسيا حيث وصل امريكا في اواخر العصر الجليدي .



الفيل الهندي المالى Elephas Indicus والفيل القزمى الذى يقطن في الكونغو
Laxodonta Africana Pamilio في حديقة الحيوانات بنيويورك

١٦ - الالفوس - Elphas - أى الفيلة الحقيقية وقد سميت بهذا الاسم بعد لينوس العالم المعروف . ويرجح أن تكون قد نشأت في شمال آسيا . وعرف في الهند في أوائل عصر الانسان ، وعنه تنسل النوع الذى يقطن الآن في الهند وبورما وسيلان .



الفيل الافريقى الحالى Laxodon'a Afaricana في غابات أفريقية اوسطى . وهو يختلف عن الفيل الهندى فى شكل الرأس وحجم الاذنين !



عصبة الاسم

قل للعصابة لن تنالى بغية من أى شعب غره الافتاء
ان الشعوب وان تطاحن أهليها لم يفن منها العقل بوالعلاء
فدعى حديث الزور ان الحق لا ينفك تجرى خلفه الضعفاء
حتى اذا انعمت غيوم جهالة نالوا الحقوق ، وباءت الغرماء

الى طفاة العالم

غكست آيتهم فما ابتغوا من بناء المجد باليف الزهيب
حسبوا شمس الضحى شمسهم شمسهم : شمس أفرل وغروب
خير مجد جاء عن نور الهدى بئس مجد جاء من خنق الشعوب
ليس مجداً ما أردتم شيده انما المجد بناء فى القلوب
حسن كامل الصيرفي

« في القانون الدولي »

« إمریک دی قاتل »

(١٧١٤ - ١٧٦٧)

مقدم

« مولده ونشأته »

ولد في الخامس والعشرين من شهر إبريل من سنة ١٧١٤ في « كوفت »

بمقاطعة « نيوشاتل » بسويسرا

وكان والده « ديفيد دي قاتل » David d. Vattel من قساوسة البروتستنت،

فورث عنه نزعة إلى الفلسفة . ولقد فكر منذ نشأته في أن يقف حياته على

دراسة « اللاهوت » ولكنه دخل جامعة « بال » بعد موت أبيه في سنة ١٧٣٠

وفي سنة ١٧٣٣ انتقل إلى « جينيف » وقد تعمق في الفلسفة والعلوم الأدبية تديقا

كبيرا . ولما كان « قاتل » من زعابا ملك بروسيا ويميل بطبعه إلى السياسة، فكر

في أن يذهب إلى برلين ليجث عن وظيفة في الدوائر الدبلوماسية، فهبطها

سنة ١٧٤١ ولكن لم تتحقق أمنيته !! وكانت حالته المالية لا تسمح له بأن يطيل

الإقامة في برلين ولذا ترك مقاصدا « درسدن » في سنة ١٧٤٣ وهو متفائل خيرا ! إلا

أنه اضطر إلى السفر إلى « نيوشاتل » لتضاء بعض مصالحه الخاصة وعاد بعد أن

انتهى منها في سنة ١٧٤٦ .

« فشله في هيامة »

وبقى عاما كاملا يتمتع بلذة المطالعة، ومعاشرة الأصدقاء، وأخذ يعمل النفس

بنواله يد شابة هي الديموازيل « مرفييو » وكان يحبها حبا مفرطا منذ سنة ١٧٤٢

إلا أنه لم « يتدر » له أن يقترون بها !!!

« تعيينه سفيراً في برن »

وبسم له الحظ فعين سفيراً في برن Berne سنة ١٧٤٩ ولكنه قضى شطراً كبيراً

من السنة بين أفراد عائلته في « نيوشاتل » إذ لم يكن قد تبيأ له محلا يقيم فيه

اقامة دائمة ولما كانت اعماله الدبلوماسية لا تستغرق جل وقته وجد متسعاً للدرس والمطالعة .

« ميله للاجتماع والمعاشرة »

وكان بطبيعته يميل الى حياة الاليناس والاجتماع، وصرف عدة سنوات في سويسرا ينعم بحياة هنيئة ، يقوم بواجبه الالين ، فاذا أنتهى منه ، قصد « قاعة الاستقبال » التى كان يستعيز بها عن كل وسائل الاليناس واللهو ! ! وقد كتبت المدموازيل « بروفوست » في رسالة لصديقتها بلدى زويلن تقول : إنه يقيم في « نيوشاتل » منفقاً وقته في الدرس والمطالعة ، والاجتماع بالسيدات . انى اراه بين حين وآخر . حقيقة انه في غاية الادب ، اما حديثه فشئى « ممتع » !!!

« كتابه الخالد »

وبعد ان ظهر كتابه الخالد « Le Droit de Gens » في القانون الدولى في سنة ١٧٥٨ ، اثناء حرب « السنين السبع » ، استدعاه ملك سكسونيا « أوغسطس الثالث » Augustus II: وعينه مستشاراً خاصاً للوزارة ، فتخصص لهذا العمل الخطاير تخصيصاً تاماً ، ولكنه اختلس برهات قليلة كتب فيها آخر رسائله .

Questions de droit Naturel ou Observations sur le traité de la nature par M. Wolff.

.. وقد نشرت في سنة ١٧٦٣

« موته »

ولكنه لم يعمر طويلاً فقد ناء تحت اعباء هموم عمله الخطاير ومسؤولياته وكان يبذل مجهوداً طائلاً . وبعد ان قضى خريف سنة ١٧٦٦ في « درسدن » اضطر ان يعود ثانية الى « نيوشاتل » فقهى نخبه في ريعان شبابه ، في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر من سنة ١٧٦٧ بداء الاستسقاء !!!

« ارملة وطفله »

وترك ارملة شابة هي « مايان دى شسن » ، من عائلة فرنسية شريفة كانت تقيم في سكسونيا ، تزوج بها « قاتل » في سنة ١٧٦٤ ورزق منها طفلاً واحداً هو أودلف موريس قاتل في سنة ١٧٦٥ . ولقد كان لموت هذا السيافى العظيم

أثراً عميقاً في نفوس اصدقائه العديدين من رجال السياسة والادب، وكتبت عنه المدمواريل « بروفست » : « انه رجل حاد الذكاء ، يمتاز بسعة الاطلاع ، وقوة التمييز ، ورقة القلب مع طيبة في النفس . حقيقة كُن انيساً ، كريماً الاخلاق . عاش عيشة نافعة ، مشعرة ، وان كانت قصيرة ، بين لذة الاخلام والتأملات ونعمة الانس بالاصدقاء والمحبين » !!!

« أثره الخالدة »

ما كُن يحلم « قاتل » وقد طبع من كتابه « ١٢٠٠ » نسخة !!! ان تصبح لكتاباته الخالدة كل هذا السحر ، وان يفتتن بها رجال الاجتماع ، والساسة ، والقضاء ، والمحاماة كل هذا الافتتان !!؟

كتب يوماً ما ، وقد كان كتابه « تحت الطبع » في رسالة ل احد اصدقائه في ٢٦ مايو سنة ١٧٥٧ ، وهي محفوظة حتى اليوم في مكتبته « نيوشاتل » بسويسرا ، كلمته المتواضعة « سيطبع كتابي أكثر من مرة » !!!

وقد تحقق كل ما كان يرجوه ، بل أكثر مما كان « يحلم به » !!!

فاعيد طبع الكتاب في « ليدن » ، وظهرت الطبعة الثالثة ، بعد موته ، في سنة ١٧٧٣ ، مشوهة ، عليها مسحة الاهمال ، وتدل دلالة واضحة على انها طبعت في شيء كثير من العجالة ، فاستاء معارفه وذكروا انها « لا تصلح الى اللبدال » !!! فقام دوماس « Domas » السويسري وطبع الكتاب طبعة متقنة .

ثم ظهرت بعد ذلك مباشرة ، في سنة ١٧٧٧ ، طبعتان ، احدهما طبعت في « بال » والاخرى في « نيوشاتل » وبها ترجمة حياته !

« مكانته في إنجلترا »

كان يعجب « قاتل » بإنجلترا ايما اعجاب ، ويجد انه لا ينتقصها من المميزات التي تؤدي الى نجاح الدولة وعظمتها شيء ، ومدح على الاخص دستورها وذكر انها لأهميتها التجارية تقبض في يدها على التوازن الدولي في أوربا وانها تقوم بواجبها الانساني بشرف ، فلا غرابة اذا أعجب به الانجليز الاعجاب كله ، وكان من دلائل اعجابهم به ، وتقديرهم له ، ان ترجموا كتابه ثلاث ترجمات ، ظهرت

الأولى في سنة ١٧٦٠ ، والثانية في سنة ١٧٩٣ والثالثة في سنة ١٧٩٧ .

والواقع ، انه ليس بين علماء القانون الدولي ، وحتى بين الأنجائز انفسهم ، من يقتبس عنه في أنجائز بمثل هذه الوفرة ، ويستشهد به بمثل هذه الكثرة كقاتل .
ومعها كانت آراء أوبنهايم ، ولورنس ، روستليك ، رفوش ، وهاید وغيرهم
وأمثال ما كنتوش ووزد وماننج وبادور وهال فيدوف في فضله ووزارة عدله ، وتضلعه
من العلم ، فانه لم يتم بين مؤلفي القانون الدولي من الأنجائز ، من بداية القرن التاسع
عشر الى يومنا الحاضر ، من يشك ادنى شك في قيمة هذا الأثر المالد !!!
بل ان القضاة الأنجائز يظهرون دائماً استعذابهم السكلي للرجوع الى احكامه
في قضاياهم الدولية العويصة كما أنه إمام الحاميين الأنجائز يرجعون اليه ويستشهدون
به ويسترشدون بأرائه السديدة الحكيمة !!!

« اثره في الولايات المتحدة »

ولم يكن تأثيره في الولايات المتحدة باقل من تأثيره في أنجائز ، فان نفوذه
ان لم يكن في أمريكا اعظم منه في أنجائز فانه على اقل معادل له .
والحقيقة ان « قاتل » لم يكن معروفاً في الولايات المتحدة بين سنة ١٧٥٨ -
وسنة ١٧٧٦ ! وفي سنة ١٧٧٣ ادخل القانون الدولي لأول مرة في « كلية كنجس »
(جامعة كولمبيا اليوم) غير انه لم يدرس فيها . ولكن لم تأت سنة ١٧٨٠ حتى
اصبحت كتابات « قاتل » تدرس في كل جامعات أمريكا . والواقع ، ان الامريكين
أحبوا « قاتل » واحبوا منه على الخصوص ، دفاعه عن الحرية السياسية ، واعجبهم
منه رأيه في ان واجب الدولة الرئيسي ومطمحها الاسمى يجب ان يكون السهر على
اسعاد رعاياها وزيادة رفاهيتهم .

والامريكيون يقدرون « قاتل » ويرون فيه مرشداً حكماً ودوناً كبيراً في حل
المعضلات السياسية .

ولما قامت مشكلة الملاحة في نهر الميسيسيبي بين أمريكا واسبانيا ، وقد
كانت تملك الجزء الاعلى منه ، استعانت الولايات المتحدة « بقاتل » وقد كان
من اكبر انصار حرية الملاحة البريئة وكانت النتيجة أخيراً ان أمضيت معاهدة
« سان لورنزو » في سنة ١٧٩٥ ، وفيها سمحت اسبانيا بحرية الملاحة بين « فلوريدا »

و«لويزيانا» للامريكيين !!!

وفي سنة ١٧٩٧ وقف النائب «سوانويك» في مجلس النواب الاميركي ،
وقد كان نائبا عن «بنسلفانيا» ، يدافع عن القانون الدولي قائلا : اذا كان «قاتل»
لا يوافقنا على رأينا فلنرجع الى «دى مارتنس» ، وكلاهما كاتملون ، من أعظم رجال
القانون الدولي !!!

ويذكرون دليلا على مكانته بين رجال القانون ، ان محاميا كبيرا هو «باتريك
هثري» قبل ان يتراجع في «رشيوند» سنة ١٧٩٠ ، في إحدى محاكم الولايات
المتحدة ، ارسل حفيده ليستحضر له ما يؤيد به دعواه ويقنع به القاضي من وثائق
«قاتل» !!! وقد كلفه ذلك ان يمتطي حفيده جوادا ويقطع به اكثر من ٦٠
ميلا !!!

«أثره في فرنسا»

أما فلاسفة فرنسا فما كانوا يذكرون القانون الدولي في العهد الاول الا
للسخرية والامتياز ، ويشبه «فولتير» بصور اجدادنا الذين نحترمهم ، مع اننا لم
نرهم ، ويقول — :

« يظهر ان تلك الرسائل في القانون الدولي التي لم تساعد في أية معاهدة
من معاهدات السلام ، ولا في أى إعلان للحرب ، ولا في تثبيت أى حق لاي
إنسان ، ان هي إلا مجرد عزاء للناس عن الشرور والويلات التي تجرها القوة في
اذيالها ليس هناك ما يجعل العقل خافلا مضطربا كقراءة هذه الكتب
التي كتبها «غروتوس و بلفندورف» وغيرها ممن كتبوا في القانون الدولي .
ويضيف «ديدرو» « ان كان القانون الدولي لا أثر له عندما تشتعل نيران
الحرب »

ولم تكن طعنات «قاتل» القاتلة وهجاة العنيفة على الكنيسة الكاثوليكية
كافية لان يكسب بها قلوب هؤلاء الفلاسفة وعظمهم . فقد كان الحادهم لا يتفق
بأية حال من الاحوال مع بروتستنتيته أو مع أى مذهب آخر . وربما كان «شالوتيه»
هو الرجل الوحيد الذي قرأ كتابات قاتل في كل فرنسا في ذلك العصر .

اما « فولتير » فقد مر عليها مراراً من غير اعتناء . فلم يكن هناك ثمة توافق في الامزجه . وبعد ان ظهر كتاب « فاتل » بخمس سنوات ، كتب « فولتير » في ٢٨ فبراير سنة ١٧٦٣ الى شالوتيه يقول : « انك ستغريني على قراءته ثانية »
« مكانة « فاتل » في المانيا »

اما نفوذ فاتل في المانيا فنموذ صادق عظيم . ولكن كتابات « باونتشل » ومارتنس وهفتر» قد اثرت في العقل الالمانى تأثيراً اعظم من تأثير « فاتل » . وقد اقتبس باونتشل عن « فاتل » بعض آرائه في حصانة السفراء ، وتسليم الجناة .
النارين الى حكمه اخرى ، وقانون الحرب والحياد .
« مكانته في ايطاليا »

إن كتابات « فاتل » ولو لم تترجم الى الطليانية الا الى سنة ١٨٢٥ فإن له مكانة سامية في قلوب الايطاليين
« نفوذه في اسبانيا » .

وقد ترجمت كتاباته الى الاسبانية في سنة ١٨٢٢ وفي سنة ١٨٣٦ ، وله حظوة كبرى عند الاسبانين لم يحظ بها غيره من المؤلفين .
وقد امتد نفوذه حتى الى الارض السفلى ، والدينارك والسويد والنرويج ،
وروسيا ...

« فاتل غير مبدع ولا مبتكر »

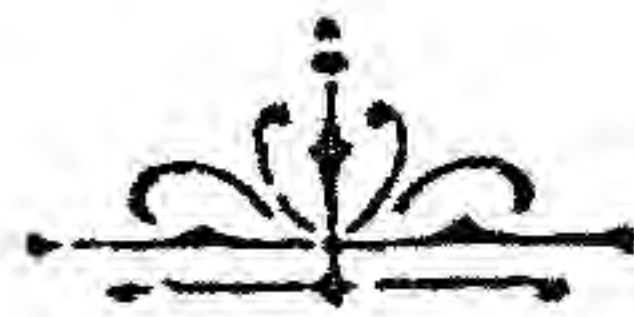
ولا يرجع نفوذ « فاتل » ، ولا ترجع شهرته العظيمة الى كونه مبدعاً مبتكراً .
بقدر ما يرجع الى ما يسود اقواله من السداد وماتانة الحجة . نعم لا يعود سحره الى جدة أحكامه بقدر ما يرجع الى دقة شبرحه وتحمليه العرف والتقاليد والعادات .
وفوق ذلك ، تعتبر كتاباته اثرًا من آثار الوسط الذي عاش فيه . وقد هاله ما رآه من هول « حروب السنين السبع » التي امتازت بما وقع فيها من ضروب القسوة المتناهية والتخريب ، كما امتاز عصره بما كان يجري عليه رجال السياسة من اساليب الخداع وضروب الفس والفوضى حتى ضج العالم وتناق الى السلام ، فقام المفكرون يحاولون اخراج العلاقات الدولية من هذه الفوضى التي كانت تسيطر بها ، ونادوا بان العلاقات الدولية يجب ان يحكمها قانون أساسية العرف والقانون الطبيعي :

وظهر أولاً آيالا (١٥٤٨-١٥٨٤) وسنفرد له فصلاً خاصاً، وسوريز (١٥٤٨-١٦١٧) الذي حلل نظرية القانون الدولي تحليلاً عميقاً فلسفياً وفصل بين القانون الطبيعي Law of nature وقانون الأمم Jus gentium الذي يستمد قوته من ارادة الدول جميعاً، أو ارادة أكثريةها - ونادى بضرورة وضع قانون ترضخ له الدول جميعاً. ثم جاء بعده « جنتيليس » ١٥٥٢ - ١٦٠٨ وكان القانون الدولي قد تقدم شوطاً بعيداً، وهو استاذ للقانون المدني بجامعة « اكينورد » فمثل مرة في قضية تتعلق بأحد السفراء، وهذا ما حدا به الى كتابة رسالته الاولى التي أوضح فيها كل ما يتعلق بالرساليات الدبلوماسية، وبحث حصانة السفراء، وعلاقاتهم بالدول التي بعثتهم، وبالدول التي أرسلوا اليها، وكتب في الحرب، وأنواعه، وأسبابه العادلة، ونتائجها، وعن المعاهدات وقوتها، وعن الممالك المحايدة، وقد كن في كل كتاباته عملياً بحثاً، طبق نظريات القانون الدولي على مشاكل العصر الذي عاش فيه. ولا يذكر « جنتيليس » الا ويدكر معه « الحياد » Neutrality

ولكن « فاتل » اعتمد في كل كتاباته على كتابات عالم الماني كبير يسمى « وولف » (١٦٧٩ - ١٧٥٤) وكان استاذاً بجامعة « هال » وبحث القانون الدولي بحثاً معقداً جافاً عويصاً. فقام فاتل يتفهمه ويهضمه ويقدمه خذاء سائفاً سهلاً قريب الفائدة بعيداً عن المهوشات وسناني بعد هذه المقدمة البسيطة عن « حياة » « فاتل » على « آرائه ونظرياته » وتقارن بينه وبين غيره من رجال القانون الدولي

كامل ص. ويلي م. م. م.

جامعة بيروت



مِثَارُ الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمُلْحِصٌ عَنْ أَهْدِيَّ الْمَوْلَفَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ

جان بول مارا

Jean Paul Marat : By Louis. R. Gottschalk

كتاب نشرته شركة (Allen & Unwin) بلندن

نشرنا في العصور من قبل فصلا تناولنا فيه حياة شالوت كورداي وكيف قضت على « مارا » صديق الشعب الفرنسي . غير اننا لم نتناول شخصية « مارا » بالتحليل الدقيق الذي يظهرنا على حقيقة ذلك الرجل الذي هز فرنسا من اعماقها ، والذي نبذته من بعد ذلك فرنسا فذرت مع الريح بقاياها الترابية . ولقد وقع لنا هذا الكتاب الذي الفه الاستاذ العلامة « لويس جوتشوك » فآثرنا أن نأتي على مجمل ما يرى في مارا من رأى

* *

الواجب على المؤرخين أن يبعدوا عن شخصية مارا الكبيرة كل اثر لتلك النزعات المسفة التي يلصقها به كل الكتاب ، على الرغم من أنه من طينة آدم وحواء له ما لا ينافيها من الصفات الممتازة وله أيضا تقائصهم . وطالما تساءل الناس لماذا انضم مارا الى الثورة الفرنسية ورمى بنفسه في احضانها الملتهبة ؟ متخذين من انضمامه الى الثورة سببا للتشهير به . غير اننا اذا ذكرنا أن مارا لم يفز من الثورة ومن انضمامه اليها بمال ولا حطام كما فعل دانتون Danton وغيره من زعمائها ، استطعنا على الاقل ان نطهر أن الذين يحملون على مارا تلك الحملات التاريخية غير محقين الى حد بعيد . بل على الضد من ذلك ، فإن مارا فقد في خدمة الثورة آخر ما كان يملك من مال ، وقتل وليس له قرشا واحدا من الاموال التي جمعها بكده قبل أن ينحاز الى ناحية الثورة

لهذا يقول البروفسور جوتشوك أن خدمة مارا لمبادئ الثورة كان عن عقيدة ثابتة وإخلاص تام . فإنه كان من اكبر انصار الاصلاح السياسى ومن الداعين الى تعديل قانون الجنائيات وتنقيحه بما ينطبق على مبادئ الرحمة والشفقة . على ان فى هذا ما يثير الى شىء من الانقلاب التى لحق عقلية مارا بعد ان حاز اكبر سلطة استخدمها فرد فى اخضاع الشعب الفرنسى . فان الاستاذ جوتشوك يعلل هذا الامر بان فى الجائز ان تكون الآلام التى قاساها الشعب الفرنسى والكوارث التى نزلت به سياسيا واجتماعيا نفثت فى مارا روحا جديدة ساعدت على تنمية نزعتة القديمة حتى بلغ من حب الضعفاء والقضاء على الاقوياء المستبدين حدا بلغ درجة الجنون الصرف . على انه عمد الى القضاء على القوة فى كل مظهر من مظاهرها وفى كل حالة من حالاتها . لهذا لم يفقه كيف يكون التسامح السياسى وكيف تكون الحرية . كما أن الآلام الجسدية التى كان يعانيها مارا لا بد من ان تكون قد اثرت فى كيانه تأثيراً يمكن ان يعلل به كثير من الفظائع التى ارتكبها والنوقاحة الشديدة التى كانت تبدو فى كلامه وفى خلال ما يكتب من مقالات ورسائل .

غير اننا لانسى بجانب هذا عوامل أخرى يمكن أنه يعزى اليها اشياء غريبة ظهرت فى خلق مارا . نانه كان من طينة رويسير اعتداداً بالنفس وتقديراً لجاهه ويقول الاستاذ جوتشوك بان مارا لم يهاجم الملكية مطلقاً طوال ذلك الزمان الذى انتضى قبل اعلان الجمهورية ، وانه لم يتنق المبدأ الجمهورى الا بعد ان اعلنت الجمهورية بالفعل ، ثم يتساءل : هل كان من الممكن ان يندفع مارا فى سبيل الثورة وفى سبيل الشعب كل هذا الاندفاع لو أن طلبه كان قد أجيب فرقى الى مصاف الاشراف ؟ ولقد قتل ميرابو ، خطيب الثورة الفرنسية الكبير ، أن الاسرة المالكة وعلى رأسها لويس السادس عشر ، كان من الممكن أن ترجح كثيراً من الرجال الذين كانوا سبياً فى سقوطها ، بقليل من الكلام المزوق والابتسامات الخمرة . غير ان تماليد الملكية كانت تأبى ذلك . لهذا تجد ان مارا قد انقلب عدواً للملكية وللأرستوقراطية التى لم يستطع أن يكون أحد اعضاءها ، على نفس

المبدأ الذي جعله من ألد خصوم الأكاديمي العلوم ، لأنه لم يستطع أن ينال الشرف بان يكون احد اعضائها .

ولقد كان مارا يشعر منذ بدء حياته شعورا خفياً يوحى اليه بأنه سوف تبهم حقوقه في المجتمع الانساني . وأخذ هذا الشعور يقوى مع الزمن وبتتالي الحوادث حتى أصبح شيئاً شبيهاً بما يسمونه « جنون الاضطهاد » . لقد اعتقد بان الجمعية الانسانية انما تآمر عاياه لتقضي على نبوغه وتذهب بعمرته ، لهذا عمد الى الجماهير يستخدمها لينقض بها على كل عقبة تقوم حائلاً دون غرض من اغراضه ومهامه الجنونية

ولقد بحث الاستاذ جوتشوك شهرة مارا ، فقال بان مدينة شارلوت كورداي لو لم تعجل به الى الموت لنسى سريماً ولسقط سقوطاً لا يذكر مثله التاريخ . فان سلطته كانت قد أخذت في الاضمحلال ، لان جماهير باريز كانت قد بدأت تبدي سأمها من اهراق الدماء وقتل الابرياء وكان مريضاً ينتظر الموت حيناً بعد حين ، كما أن نداءاته الوحشية التي كان يدعو الشعب اليها لم تعد تلقى تلك الاذن التي كانت تلقاها من قبل .

ان قتل مارا قد رفعه الى مصاف الشهداء في سبيل الوطن ، بل انه قد هيا ظرفاً من الظروف كاد يعتلى به مارا مصاف البشر المؤلمين . على أن أقوى ما يؤيد فكرة الاستاذ جوتشوك ، ان مارا بعد أن دفن في البانتيون ستة أشهر وعلق قلبه في قاعة الكوردييه رمزاً للعبادة والتقديس ، نبش قبره وذريت مع الريح بقاياه . على أن العقل الانساني كثير الصور ، فان مارا لم يكد يسقط عن عرش الوطنية حتى توج ملكاً على عرش الاشتراكية والشيوعية منذ ذلك الحين . وفي سنة ١٩٢١ أعيد في موسكو طبع كتاب صابر استعرض فيه حياته استعرض تمجيداً ، على اعتبار أنه من أعلام المذهب الشيوعي .

ومن أهم ما يمتاز به هذا الكتاب طلاوة الاسلوب واتساق الفكرة والاستقلال في الرأي بما يتفق مع الاساليب العلمية الحديثة

هل من أمراض جديدة؟

من بحث لاستاذ انجائزى كبير

ظهير فى أواسط أوروبا وباء جديد لم يعرفه الطب من قبل فكان من نتيجة هذا أن يتساءل الأطباء « هل الانسانية معرضة لهجمات أمراض جديدة ؟ » « أم ان الأمراض القديمة تظهر مرة أخرى تحت ثوب آخر ؟ »

على أن اصطلاح «مرض جديد» اصطلاح مبهم، لان من عادة الناس اذا انتشر مرض واحد فى فصائل مختلفين ، فكان لذلك بعض التأثير فى ظواهره ، أن يعتقدوا بأنه مرضان مختلفان لاختلاف يسير يظهر فى أعراض المرض الواحد . كذلك نرى أن لاختلاف نظر الباحثين أنراً فى هذا الامر . ولهذا نجد انه من الصعب أن تعين حقيقة مرض ما ورد ذكره فى مؤلفات علمية ما، كتبت قبل أن يهتدى الباحثون الى طرق تشخيص الأمراض بالوسائل الحديثة . فكم من وباء يعينه وكم من مرض واحد عاد الى التفشى فى عصور مختلفة، ومع ذلك تجد أن تحديد ماهيته يختلف باختلاف الأزمان .

على أن الحقائق التى جمعت خلال قرن من الزمان قد تظهرنا على أن للمرض الواحد صوراً عديدة تظهر ملابسة له بحيث تجعل سيره مختلفاً فى كل دورة من دورات ظهوره . فالحمى القرمزية مثلاً قد أصبحت مرضاً قاتلاً خلال دور من أدوارها بعد أن كانت من الأمراض البسيطة، ثم عادت فأصبحت مرضاً قليل الخطر برىء النتائج . وكذلك مرض الروماتزم الحاد فى الاطفال . فنه بعد أن كان يصيب المفاصل بشكل عام ويحدث بها آلاماً شديدة موجعة ، أصبح يهاجم القلب مباشرة فيفنى ويبيد .

وعلى ذلك تجد أنه من الخطأ أن نسمى كل مظهر من المظاهر التى تلازم مرضاً ما باسم جديد على اعتبار أنه مرض جديد . وبما لاشك فيه أن الحمى القرمزية سوف تعود مرضاً قاتلاً مرة أخرى على مدى الزمان . وكذلك نجد اليوم أن الانفلونزا (أو الحمى الاسبانية) قد رجعت بعد حدوثها مرضاً غير ذى خطر كبير فأصبحت كما كانت سنة ١١٧٣ إذ وصفها أسقف سانت بول بانجلترا عند ما كان

يجول في القارة الاوربية بأن الدنيا «قد استولى عليها فساد سديمي انتشر في الجو يحدث رشحاً في المعد وسعالاً عاماً» على أن اختلاف المظاهر التي تبدو بها الامراض في أزمان مختلفة لا يرجع الى اختلاف في استعداد الاجسام ذاتها ، بل يرجع الى وجود ميكروبات أخرى في الجسم تشترك مع ميكروب المرض في احداث حالات يظهر معها المرض القديم كأنه مرض جديد لا عهد للناس به .

والحقيقة ان كل حالة من حالات الامراض المعدية يمكن ان تعد مرضاً جديداً . فان من المعتذر أن تتشابه حالتان ، لانه لا يمكن ان يتشابه فردان تشابهها تماماً . وكذلك الميكروبات نفسها قياساً على هذا ، من المعتذر تشابهها . غير ان هذا القول يمكن تطبيقه عملياً على مجموعة من الظواهر المرضية التي تظهر حيناً بعد حين ، والتي يغلب أن تنشأ من غير ان يكون لها اسباب ظاهرة . وهذه الاسباب إما ان تكون تغيرات في الجسم الانساني نفسه أو تغيرات تلحق تلك الجراثيم المرضية نفسها .

ان مرض النوم *Encephalis lethargica* يمكن على هذا أن يعد مرضاً جديداً ، لانه لم يكن لدينا أي علم به قبل سنة ١٩١٥ ، ولم يظهر في صورة وباء الاسنة ١٩١٦ عند ما بدأ بالظهور على هذه الصورة في مدينة فيينا . وظهرت اعراضه الاولى باضطراب في النوم والتعب في المخ . وفي خلال سبعة اعوام عم المرض انحاء العالم المعمور كله .

من هذا يستنتج أن التغيرات التي تطرأ على الامراض المعدية قد تكون نتاجاً لتغيرات تقع في الاجسام البشرية : فان مرضاً جديداً من الممكن ان ينتشر ويم بالآفة لان دفاع الاجسام البشرية ضد هجمات الميكروبات يكون قد ضعف بالاضغلال *Disuse* أو لتغير يطرأ على عادات الناس الاجتماعية أو لانهم عمدوا الى استخدام بعض أعضائهم أو خاصياتهم البدنية الى حد الافراط . غير ان هذا لا يمال وحده ظهور الامراض في صور جديدة . لان الميكروب نفسه عامل آخر يجب بحثه .

من الحقائق التي لا يجب أن تغيب عنا أن الميكروبات المضرّة لها صور أخرى تربطها بها رابطة النشوء وأواصر القرابة ، تعيش عيشة بريئة في الارض أو الحيوانات

أو الغذاء الذي تتناوله وفي افواهنا وفي القناة الهضمية . فالحلقوم مثلا يحتوى على ميكروبات لا يمكن ان تفترق بشيء عن الميكروبات التي تسبب مرض الدفتيريا، من غير ان تحدث ضررا . والسبب في ذلك ان هذه الميكروبات قد انحدرت عن اصول حية وثقت عرى الصداقة بينها وبين النوع الانسانى . وفي طور من الاطوار الزمانية انقلب أحد هذه الميكروبات وحشا ثائرا ضد النوع البشرى ونمرا مفترسا يستعذب دماء الناس ، فظهر مرض الدفتيريا لأول مرة في الوجود

وهناك ميكروبات غير مخررة الى حد محدود اذا بقيت في جزء خاص من الجسم - مثل باشلوس كولون *Colon bacillus* الذى يوجد في الجهاز الهضمى عادة، فانه يحدث مرضا ما أو التهابا اذا أمكن ان ينتقل الى جزء آخر من الجسم ، ويعزو بعض الباحثين كثيرا من صور الالتهاب المزمن الى ان هذا الميكروب قد أخذ يفلت من يد الانسان ليعلم عليه الحرب . فالاضطرابات العصبية التي تصيب كثيرا من الناس من الممكن ان تكون اسبابها راجعة إلى ميكروبات لا تحدث الا رشحا بسيطا إذا أصابت أجزاء معينة من الجسم ، كما أنه من الجائز ان تكون قد ظلت تعيش في اجسام حيوانات اخرى فلما عمد الانسان الى عيش المدن وكثرت حاجاته الغذائية واستطاعت ان تدخل جسم الانسان وجدت وسطا جديدا يمكنها من أن تؤثر فيه تأثيرا لم تستطع من قبل في بقية الاجسام التي عاشت فيها . ولا ينحصر وجه الغرابة في حياة الجراثيم الميكروسكوبية في أنها قد تتغاير بل يعمد ذلك الى أنها تظل غير متغايرة عدداً كثيراً من الاجيال. فان الموميات المصرية قد دلت على أن أمراضا ما قد ظلت ميكروباتها كما كانت منذ أقدم عصور التاريخ

وبعد أن تكون الميكروبات قد لعبت دورها الكامل في نشوء الانسان وتطوره . فان وافدة الانفلونزا التي انتشرت سنة ١٩١٨ والتي قتلت من الناس أضعاف العدد الذي ذهبت به الحرب العظمى لا يمكن أن يمنع حدوثها مرة أخرى. على أن تأثيرها يستوى فيه الضرر والنفع .

وهكذا الحياة لها صورها المدينة التي تظهرها عجلتها الدائمة الدوران

الكون الخالد

مسألة الأشعة الكونية The Problem of Cosmic rays

عن الدكتور فورنييه دالب Dr. E. E. Fournier d'Able

ان الاستكشافات العلمية التي كشفت في اواخر القرن التاسع عشر قد اضطرت العلماء الى أن يعيدوا النظر فيما كانوا يعتقدون به من المبادئ في الجوهر الفرد وطبيعة الكهربائية . فأن عاملاً جديداً ظهر في افق البحث هو النشاط الاشعاعي فلم يمض قليل من الزمان حتى أعتقد العلماء أن لهذا العامل شأنًا كونيًا ، حتى لقد انقلبت الفكرة من الكونيات انقلاباً لم يحلم به احد من العلماء في عصر لورد كلفن ولا مهرب من الاعتراف بأن النظرة التي نظر من ناحيتها في الكون خلال السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر كانت نظرة مظلمة في كل نواحيها . فأن الباحثين كانوا يعتقدون اذ ذاك ان كل ضروب النشاط التي كانت تتناول بها القوة الدافقة الماية ، لم يكن لها من نفع مباشر للانسان ، فكان الباحث في العلوم الكونية مهتماً بجهد نفسه في البحث لا يصل من ثم الا الى فكرة في الخلاء الصرف واللاصورة التي لا يمكن أن تعضد من صور الحياة شيئاً . بل زادوا الى ذلك أن الكون لا بد من ان تقف حركته يوماً ما كما تقف آلات ساعة اصابها عطب حتى ليعتذر على انسان مهتماً اولى من مهارة وفن ان يعيدها الى دورتها الاولى

ولقد ترتب على هذه الفكرة أن يعتقد الكونيون بأن الكون لا بد من أن يكون قد حرك محرك باديء ذي بدء ، وأنه من ثم اخذ في الانحدار الى حالته هذه كما بدأ انحطاط زراتوسترا عندما اخذ ينحدر من الجبل ليندمج في جوف الجملعات المتمدينة (١) اما فيما يختص بالارض التي نساكنها فان تاريخ بدء حركتها الاولى قد رجع به الى ١٠٠ مليون من السنين . غير ان علم الجيولوجيا لم يقنع باقل من ١٠٠٠ مليون من السنين . والسبب في هذا أن الباحثين اعتمدوا في قياس عمر الارض على أشياء لم يتيسر لهم غيرها في زمانهم ، كقياس حرارة جوف الارض ومقدار الزمان الذي استغرقه تبرد سطحها الظاهر وغير ذلك من ابحاث اجروها في

(١) المثل مأخوذ من رواية نيتشه «هكذا قال زارتوسترا» — وهو زرادشت الفارسي

الشمس وبقية الكواكب ، فلم يكن ثمة من مبرر يبرر لهم ان يقدروا عمر الارض بأكثر مما قدروه به

فلما استكشف « بكريل » النشاط الاشعاعى فى سنة ١٨٩٦ ازاح الحجاب عن نبع للقوة لم يكن ثمة من محيص أن تمحى مع استكشافه كل القواعد والاستنتاجات التى عكف عليها العلماء من قبل . فلقد ثبت ان الكون فى مستطاعه ان يجدد شبابه بقوة كامنة فيه يستمد بها فى القوة الكائنة فى جواهره الفردة ، وعلى هذا امكن أن يرجع بعمر الارض الى اقصى الازمان التى يتطلبها علم الجيولوجيا وتدل عليها ابحاثه العميقة المستفيضة ، كما امكن ان يقدر للشمس عمراً أطول بكثير من عمرها الذى قدره العلماء من قبل . غير ان النظام الشمسى مع كل ما يمكن ان يقدر به عمره الزمانى لا بد من ان يكون له بداية ونهاية . وعلى هذا رأى لم يكن ثمة من شىء جوهري يكن ان يغير من وجهة النظر الكونية بعد هذا الاستكشاف الا عمر الكون من يوم مولده الاول — والكلام هنا على النظام الشمسى — الى يومنا هذا . ومن هنا يمكن أن تقول أن نظام « لابلاس » Laplace الكونى الذى شرحه فى كتابه « نظام العالم » System du Meond من المستطاع أن يقنع به الكونيون اذا أدخلت عليه بعض تعديلات طفيفة وان نمضى معتقدين بأن نظام الكون لا بد من ان ينتهى بعماء صرف ، أى من حيث بدأ

غير أن الدروس التى تلقيناها عن مبدأ « النشاط الاشعاعى » كانت لها قيمتها فى بحث الجواهر الفردة ، شأنها فى بحث الاجرام السماوية . فقد دللتنا هذه الابحاث على أن كل جوهر من الجواهر الفردة يمكن أن يشبه بنظام شمسى صغير جهد الصغرى فيه كهارب — الكترولونات Electrons تدور من حول نواة مركزية ، كما تدور السيارات من حول الشمس . وفى هذا النظام الشمسى الضئيل تكون السنة من الزمان عبارة عن قياس حركة الكهارب حول النواة المركزية التى هى نظير الشمس فى النظام الاكبر . وكل دورة من هذه الدورات تحدث بنسبة ألف مليون مليون مرة كل ثانية . وعلى هذا يتضح اذا ما نظرنا فى دورة الكهارب حول نواتها ، أن هذه الدورات انما تناظر عصوراً جيولوجية بروتها ودهوراً تكوينية فى نظامنا

الكبير . ومع هذا فلا تقع على تغيير في النظام او اختلاف في النسق على ان هذه المقابلة قد تكون اكثر مما يجب ان يكون في بحث على . غير ان من العلماء من يعتقد انها مفتاح السر الاعظم الذي يعود اليه بناء الكون ونظامه ، فيتساءلون : لماذا لا يكون هذا النظام الجرمي Starry System في مجموعه نظاماً أبدياً لا أول ولا آخر له ؟

اذا اردت أن تبحث هذا السؤال فارجع هنيئة الى ما يتواتر معه من الاشياء وسائل نفسك : اذا كان الكون حادثاً ، فيترتب على هذا ان يكون له مبدأ ونهاية . فاذا حددنا بدء الكون الزماني بعشرة آلاف مليون سنة وان نهايته ستقع بعد مثل هذا الزمن من الفترة التي نحن فيها ، ومضينا نبحث فكرة الزمان وجدنا ان الزمان عبارة عن كمية نسبية Relative quantity لا غير ، وأن كائناتنا ارقى منا بنسبة رقينا عن عالم الجوهر الفرد — وقد ندعوه في العربية العالم الذري — قد يلوح له ذلك الزمان الطويل الذي تقدر به عمر كوننا هذا بما وقع خلاله من صور الرقي والنشوء كأنه بدأ وانتهى الى الغاية التي وصلنا اليها في جزء من مليون من الثانية ، من غير أن يتقدمه او يعقبه شيء ، بل يكون كخاطف ضوء بسيط لا قيمة له ولا معنى .

على أن العقل الانساني لينفر من مثل هذا التصوير . فانه يظهر العالم كشيء لا تسلم به البديهة . وهكذا تجد أن الفكر الانساني على الرغم من امتداد واتساع أفقه في الزمان والمكان ، لن تبدأ لوعته في البحث بأية صورة من صور الفلسفة التي لا تسبل على الكون اذ يال العظمة والوقار التي يمكن ان يتخيلها الانسان . يقول سير « أوليفر لودج » « إن الفكر العلمي اخذ يميل الى القول بأن الكون أبدي سرمدى » . ولا بد من ان يكون هذا الطبيعي الكبير قد بحث فيما بحث ليكون هذه الفكرة ، مستكشفات الاستاذ « ميلكان » Millikan الحديثة في الاشعة الكونية وتأثيرها في بقاء الكون . فلقد أثبت هذا الاستاذ الكبير أن أشعة خفية في مستطاعها أن تخرق سبعة عشرة قدماً من اطباق الرصاص بسهولة تامة تصلنا من عوالم خارجة عن نظامنا الجرمي . ويقول بأن هذه المستكشفات تعبر

عن نظام التدرج الذي يتبعه العلم الانساني اذا يضيف كل باحث الى ابحاث
ما سبقه ، مستجدات حديثة يقيمها على نتيجة ابحاث من سبقه من العلماء ، فيتم تقدم
الى الامام ، اذا ساعده الحظ ، خطوة أخرى يفوت بها خطى سابقيه ، حتى أنه
سوف يأتي يوم يجد فيه الناس انفسهم وقد بلغوا قمة الجهد والاعظمة بان يحصلوا
على تصور جديد في محتائق الطبيعة ، من غير أن يشعروا بفترة يبهروهم بها فجر
الحياة الجديدة

اما « الفعج » فسوف يظهرنا على ذلك الاسلوب الطبيعي الذي يجدد به الكون
شبابه حيناً بعد حين . والظاهر ان السر كامن في جوف السدم ، وهي تلك
السحب التي تتكون من مادة غير تامة التماسك ، وكأن يتمدد من قبل بانها
عوامل من طور التكوين .

غير أن السدم المزدنية التي تتضمن تلك القوة التكوينية قد تكون واقعة
في جزء من الكون خارج عن حدود المجرة . لأن الضوء الذي يصلنا منها يظهرها
لنا كما كانت منذ عشرة آلاف من السنين على الأقل . ويقول الاستاذ « ماكن »
انه يحتمل أن تكون الاشعة الكونية تصدر اليها من تلك الابداد القصية .
وإنا لنعلم أية قوة الحياة والموت تتضمنها أشعة إكس . — X-rays — . ومن
ذا يعلم أية قوة أو تأثير يمكن أن تنشرها تلك الأشعة في أرجاء الكون ، وهي تزيد
في قوة الاشعاع والنفاذ في الاجسام الف ضعف على أشعة إكس ؟

لقد وقع العلم على نبع للقوة قادر على أن يجدد من شباب الكون وان يحتفظ
بحياة العالم شابة فتيه ازمانا لا يمكن تحديدها . وهذا النبع كائن في صميم الجواهر
الفردة ومن الممكن أن يكون في العالم ينابيع أخرى للقوة لم يستكشفها العلم بعد ، تمدنا
بها عوامل اضاأل من عالم الجوهر الفرد ، على ضوء ولته .

على أن إستكشاف سلسلة من هذه العوامل اذا وقع ، فلا بد من أن يحملنا على
الاعتقاد بأبدية الكون التي لا تظهر صور الموت والحياة فيها ، الا كقطعات الهواء
التي يرسلها الزبد على وجه المحيط الاعظم .

النقد والتأليف

مناظر ك نظيرك

الدكتور يعقوب معروف

الوحدة الإسلامية واللاهوتية الدينية

للسيد محمد رشيد رضا

إن هذا الكتاب قبس ضئيل النور انبثق بين جدران قبر المدرسة القديمة
لندلم . إذا قراءة المجدد غاص في بحر زاخر من علوم الأولين الذي حرمتنا منها
مدينة العصر الكاذبة بأبحاثها التي قصرت الثقافة الحالية عن تفهم أسرارها
فتركها عيا منها . ومن منا وقف ولو على مبادئ علوم حساب الجمل وأسرار الحروف
والزائرجه والجفر والملاحم والمندل والبروج وجغرافية الآخرة مع خرائطها أو على
أبحاث في السريانية وصاتها بلغة الملائكة وعن عمر الأرض وكيفية تكوينها ؟
والذي يقرأ شيئاً في هذه المواضيع يتضح له مبلغ الخسارة التي أصابتنا من
إبعادنا هؤلاء العلماء المتبحرين في هذه العلوم النادرة عن تملذ زمام إدارة شؤوننا الدينية
والمدينة . فلو أننا لم نتبع الغاوين وأسلمناهم زمامنا لكنا ولا شك في جنان النعم
من الخالدين

وإذا قرأ الكتاب العلماء الاعلام لوقفوا على مبلغ الضرر الذي تسببت فيه
الجرائد والمجلات التي يحررها خريجون المدارس النظامية الحديثة التي تنفت سمر
ما يسمونها بالعلوم العصرية حتى لقد حاد بعد قراءة بهتانها أحد العلماء عن طريق
العلم السليم ، وأخذ يجرأ على الادعاء بأن السبب في قفل باب الاجتهاد نتج عن
ضعف ثقة بعض المتألمين بانفسهم لسوء ظنهم بغيرهم من الناس ولزعيمهم ان القول
دائماً في تدل والنمطاط ولغولهم في تعظيم السابقين (ص ١٣٦) وبما انني شخصياً أحقر
من ان اتطالع الى التداخل في سلطة الديان جل . وعلا ؛ لست متأكداً عما اذا

كان قائل هذا القول يصح أن يكون في رأى السادة العلماء من المخلصين في نار جهنم أو من الذين سيقضون فيها ردحاً طويلاً أو قصيراً من الزمان أو هو من الذين يقبل منهم التوبة لأنه شك وخرج على الاجماع الواجب الاتباع شرعاً، ولكنى التمس له الغفران فقد يكون خطؤه عن قصد حسن ذلك بالرغم من انه يفند مزاعم القائلين بان أهل السنة ينتهون الى أربعة مذاهب من شد عنها فقد شد عن الاسلام ويعقب على هذا بقوله انهم لا يفهمون أكثر من هذا (ص ١٣٦) وبالله ماذا ينتظر من رجل ينفي العالمية عن علمائنا الاعلام قائلًا ان الناقل مقلد وأما العالم فهم الذى يجتهد فستان بين هذا وذاك فهو يدعى ان باب الاجتهاد لم يقفل الى الآن مخالفاً بذلك الجماعة . وكذلك يدعى بجرأة ان عمر نهى عن زواج المتعة اجتهاداً منه ولو كان فى ذلك تحريم فأحله النبي (ص ١٢٧) وان التقليد فى العقائد غير جائز فاذا استشار شخص آخر فيجب أن تنحصر استشارته فيما قد يكون عنده من كتاب اوسنه لا ان يسأله عن رأيه الشخصى (ص ٦٨) فان فهم الاحكام اسهل من فهم عقائد الفقهاء المختلفة الاساليب والمتصف اغلبيتهم باضطراب الفهم (ص ٤٩) نسألك اللهم اللطف بنا

واما الكتاب فقد وضع فى حوار تم بين شخصين اعتقد انهما ازهران لعقوى المواضع التى تناولا لها: احدهما مقلد كبير السن والآخر مصلح صغير افسده الاطلاع على قسور من العلوم المعصرية وعند ما يشعر الاول بالهزيمة يلتجئ الى مقلد مثله ولكن عونه يتقهقر بانتظام امام منطق وفصاحة المصلح وهكذا يترك الخصمان وجهالوجه مما بعد ان ينتصر المصلح لسوء الحظ

وعلى حين فجأة يثب أمامك احمد باشا زكى مستفتياً مؤلف الكتاب عن موضوع الاجماع فيفتيه فى بضع صحائف تكون التتمة وهى خير ما تحتوى الصفحات. وانا نرحب بهذا الكتاب ونحث المتصالحين بالازهر على الاطلاع عليه

هول اليهودية

قرأت فى العصور ضمن مقالة فى اليهودية « زبدة الطورا (التوراة) » فاسمحوا لى اذا شئتم ان اقول ان لا قرابة ولا نسب بين اللفظين ، بل هما بعيدان عن بعض

كل البعد ولكل منهما مصدر على حدة في اللغتين العبرية والعربية فمصدر (طور) هو هو في العبرية (ط و ر) وله ماله من المعاني والتوراة تفعلة من مصدر (ي ره) هو في العربية (ورى) وهاء المصدر العبرى بمنزلة الالف المقصورة في اللغة العربية والمصدر في اللغتين ورى واورى بمعنى نار أنار هدى وفي حديث على كرم الله وجهه حتى أورى قبساً لتابس

أى أظهر نوراً من الحق اطالب الهدى ومن هنا التوراة تفعلة من المصدر

مراد فرج المحامى

بتعناء هذا

بمصر

عصر المأمون

من خطاب لصديق عراقى وهو اديب كبير يبدى رأيه في الكتاب قال :
« كدت انخدع بتقريظ الصحف وذلك اللقب الممتاز الذى منحته اللجنة الفاحصة لرفاعى ، حتى وقع الكتاب فى يدي فاذا هو دون العادى . وانى لشديد المعجب من ان ينحط ازأى العام الادبى فى مصر هذا الانحطاط فتستقبل الصحف الكبرى هذه المجموعة المبعثرة التافهة بمثل هذه الحفاوة العظمى !! وما هو الشئ الجديد الذى أتاننا به الرجل اذا كان غاية ما عنده من اسانيد الثقة
..... الجماعان ؟ الشاب الحديث العهد بالبحث . بينا هو اذا اراد قول محقق المانى اكتفى بسطرين او ثلاثة . ثم أين الاسلوب التأليفى الحديث ؟ أين المراجع ونقد المستندات واستعراض المؤلفات الباحثة فى الموضوع ونقدها والفهارس الابجدية المطوية ؟ وهذه منتهى راجعه الاجنبية ، بضعة كتب معروفة . مبتذلة »

هذه كلمات أديب عراقى جاءت فى خطاب خاص للمصور . وما نشرناها الا لانها على اية حال تعبر احسن تعبير عن قيمة الكتاب فى نظره واكثر صراحة فى القول من مقال يكتب للنشر . على اننا نعرض عما تنشر بعض المحصف الاسبوعية الساقطة فى تعرضنا لنقد كتاب عصر المأمون ، فان الذى يحمل القلم فى يده كالجندي الذى يحمل السلاح فى ساحة الحرب ، يوم له ويوم عليه

* * *

رحلة الاندلس

كتاب جديد للكاتب المعروف والباحث المدقق محمد بك لبيب البتانوني، كان الاولى به أن يطلق عليه اسما غير هذا الاسم . لان المؤلف قصر كل همه على وصف ماترك العرب في اسبانيا من الآثار والتحف ملحقاً بكل رسالة فذلكم تاريخية عن أصل تلك الآثار وعصر تشييدها والدول التي توالى على الاندلس وهي قائمة ، بحيث يخرج القارئ من الكتاب وقد وعي الشيء الكثير عن تاريخ العرب في الاندلس وعزيم وعظمتهم ومجدهم ، ولكنه يكون خالي المذهن تماماً عن ما عدا ذلك من الاشياء التي تحتوى عليها اسبانيا .

والكتاب على هذه الصورة تتف من حلقات تاريخية، فهو لا يصل بين عهد العرب في اسبانيا بما بعده وبما قبله من عصور التاريخ ، ولم يشر الى ذلك الا اشارات ضئيلة على الرغم من الآثار المهمة التي خلفها العرب للذين اتوا من بعدهم في ملك اسبانيا ، والآثار التي دمغوا بها الحضارة الفوطية التي اقاموا حضارتهم على أنقاضها . فلم يشر مثلاً الى تطور أوروبا السياسي والادبي سواء في حرب الوراثة الاسبانية أم في ثورة اسبانيا على نابليون الاول .

والكتاب لا يعطينا الا صورة ناقصة عن الاسبانيين ، وكان لزام عليه أن يصورهم تصويراً كاملاً بالتبسط بعض الشيء فيما يختص باخلاقهم وعاداتهم . على أنه قد عرف عن المؤلف حب الاشادة بكل ما خلف العرب من آثار، غير مميز ذلك كثيرين ممن يذهبون مذهبه ولعله اشدّهم اعتدالاً ، بين الحقيقة التاريخية التي لا يجب ان يشوب بحبها شائبة من العواطف والميول وبين النعرة الجنسية أو الدينية . وان الانسان ليكاد يمتريه الدوار في بعض مواقف اشار فيها المؤلف بما كان للعرب من أثر في الثقافة العالمية ، حتى يخيل اليه ان العرب قد سبقوا علماء العصور الحديثة الى كل جديد في العلم والفلسفة ؟ وما بالك بمن يقول ان العرب اصل التجديد الاوروبي والفلسفة الاوروبية، مع علمنا بان ما نقل عن العرب الى أورب

من فلسفة الاغريق لم يكن الانقلا من تراجم سريانية حشيت بصور التبشير -
النصراني من طريق اليعاقبة والنساطرة وان ما نقل اليهم عن العرب قد رجع عنه
علماء أوروبا وفلاسفتها بعد ان استكشفت المتون الاغريقية الاصلية التي كتبت
في الفلسفة القديمة . على ان المؤلف المذر وهو عربي يحب العرب ويمجدهم اذا
جاء اى امثال لوبون و درابر وسيدو وغيرهم . غير اننا ونحن على ابواب نهضة
يجب ان نكون أكثر تحقيقا وأشد استقلالاً في الرأى لذنبى المستقبل على
اساس من النقد صحيح لا تشوبه العواطف ولا تؤثر فيه الميول .

تتقدم بهذه الكلمات القصيرة لخصرة المؤلف الكبير ، معترفين ببسطة
معارفه ورسوخ قدمه في موضوعه الذى عالج

اما الاسلوب فعلى نهج تلك الفئة من الكتاب الذين ما عرفت منهم العربية
إلا القليل . فان انسجام العبارة وتخير الالفاظ لا يترك مجالاً لاديب يتذوق معنى
الادب العربى ويعرف مواضع ضعفه ومواقع قوته لان يتورط في كلمة يقولها
أو تقد يديه .

اما العبارات وتأديتها للامانى المطلوبة فلا تقل عن الاسلوب رصانة وقوة .
وعلى الجملة فالكتاب من امتع الكتب التى ظهرت في العهد القريب وهو على
الرغم مما فيه من الهنات الضئيلة عنوان على دقة البحث وتسلسل الفكرة .
على انا نأخذ على المؤلف بعض الاخطاء البسيطة التى قد نعلمها بأنها أخطاء
مطبعة قبل كل شيء . مثل قوله فى ص ١١ عند التكلم على سان شباستيان « وفوق
هذا الجبل قاعة قديمة وبجوارها مقبرة لبعض الضباط الانجليز الذين ماتوا فى احتلالهم
لهذه المدينة اثناء الحرب التى قامت بينهم وبين الاسبان سنة ١٨١٣ » والواقع انه
لم يحصل حرب بين الاسبان والانجليز فى تلك السنة . بل كانت الحرب بين
الفرنسيين والاسبان . ولعله يقصد سنة ١٧١٣ . وفي الكتاب امثال من هذه
الاطاء التى مها كثرت فان الكتاب فى مجموعته طرفة ادبية ممتعة ، نهى به
المؤلف وأهل العربية فى جميع اقطار الشرق العربى

سيرة : ارضه الجمال الخالد :

تأليف الاستاذ على بك فؤاد طلبة باللغة الانجليزية في ٣٥٢ من القطع الكبير نشره باندن
هتشنسون وشركاه.

اذكر منذ زمن بعيد اني قرأت بل انتفعت في عهد تلميذتي بكتاب صغير
وضعه التلميذ على فؤاد طلبة في منتخبات مترجمة من اللغة الانجليزية والعربية .
ولم يكن هذا أول عهدي بالمؤلف ، بل كنت اسمع من اخواني في التلمذة ان شاباً
يدعى طلبة يكاد يتقن اللغة الانجليزية كلحد أهلها . وضرب الدهر بيني وبين
ذلك العهد بضرباته فافترقنا بضع سنين . ولكن شاء القدر ان تعاودني الذكرى
وان اقع مرة اخرى على صديق الصبا ، وهو في ريعان شبابه يحمل كتاباً قما
في سيلان وجهها الخالد . وهي تلك الارض التي يحمل لها المؤلف في صدره اخص
الذكرات المشوبة بصور من الجمال والالم تراها شائمة في اسطر كتابه . وكيف لا
يكون لتلك الارض من الذكرى ما يتغلغل في طيات قلبه وهي مهبط والده في منفاه
ومرتع لعبه ولذوه في صباه ؟

ولم اشأ ان اكتب شيئاً في هذا الاثر الكبير قبل ان اقرأه واستوعبه استيماً بآلاً .
غير اني لم اكد اتم قراءته حتى رأيت ان الافاضة في بيان ما تضمنه الكتاب
من معان وما احتوى من جمال ، لا يسه صدر « العصور » بل صدر كتاب من
مضاعف حجمها . وان وضع صورة تامة عن الكتاب لا يقل عناء عن الافاضة في
شرحه فان الكتاب برمته قطعة من القلب وفيض من الوجدان يتعذر عليك ان
تصف آثاره وصفاً قماً أو تخرج به عن منحاها أو تتورط في تصوير مهما احتطت له
فانك لن تبلغ به الا صورة ناقصة من الكتاب

ويكفي انه تحيط بمناوين بعض فصول الكتاب علماً لتقف على مقدار مافاض
على قلب المؤلف من ذكريات الماضي وما فيها من الجمال والالم . فعنوان الفصل
لأول « لؤلؤة البحار الشرقية » والثاني « على الطريق الى الجزيرة المطرة »

والثالث « الحياة على سطح الموجة » وفي جماع هذه الفصول وفي غيرها من النظم التي يتناول فيها وصف الجزيرة الخالدة ، تقع على أدب فائض وعلم جم ، جدير بأن يقبل عليه الانجليز حتى لقد نفذت نسخ الكتاب في بضعة أشهر هذا ولا يسعنا إلا أن نهيب بال مؤلف الفاضل لأن يقدم على إعادة طبعه فان في ذلك فخراً لمصر والمصريين وخيراً ما نخدم به أرض القراءة

* *

العصور — اجتمعت لدينا طائفة من المؤلفات سنو الى تقدمها في الاعداد الآتية تباعاً بعد ان نلم بما فيها إماماً يمكننا ان نعطى لها حقها الاوفى على المبدأ الذي اتبعناه حتى الآن



عن أبي فراس

سمع أبو فراس حمامة تنوح على شجرة بالقرب منه وكان مسجوناً ففاضت شاعريته بهذه الأبيات:

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارتا لو تشعرين بحالي!
معاذ الهوى: ما ذقت طارقة النوى	ولا خطرت منك الهموم بيالي
أيا جارتا ما أ نصف الدهر بيننا	تعالى أقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالي
أجعل محزون الفؤاد قوادم	على غصن نائي المسافة عالي؟
أضحك مأسور، وتبكي طليقة	ويسكت محزون، ويندب سالي؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة	ولكن دمي في الحوادث غالي.

العنصر المصرى

- ١ -

صفات الدم الطيناني

كان الاديب الفرنسى «دوكلوس» من خير نقاد الحياة والعادات الاجتماعية فى القرن الثامن عشر . فاتفق أن زار عاصمة ايطاليا فوصف أهاليها بهذا العنوان «إيطاليوروما» !

ولم يغب عن الرومانيين ادراك ما فى هذا الوصف من السخرية . فثار نائهم الى حد أن هذا النعت صار مشهورا عنهم فى التاريخ . وكان غرض «دوكلوس» أن يبرهن على أن الدم الرومانى فقد كل فضائله ومزاياه فى عروق الايطاليين . ولا ندرى إذا كان السنيور موسولينى يذكر رأى دوكلوس .

على أن المفكر اليابانى «موريكاتسو ايناجاكي» حين بحث مسألة الاختلاف العنصرى اعترف بتأثير مزايا الدم الاصيل وفضائله ، وأيد وجود شعور بالتفاوت العنصرى ، وأن هناك عناصر بشرية أسمى من عناصر أخرى كما هي الحال بين الانواع البيولوجيه .

ولا ينبغي أن ننسى أن الفارق بين العنصر والجنس لا يزال غير واضح وبناء على قاتون «انتمصير» يستطيع المراكشى أن يكتسب الجنسية المصرية . قال «موريكاتسو ايناجاكي» ان هناك نوعين من الفوارق العنصرية . أولهما يرجع الى لون البشرة والشعر وتركيب الجسم وصورة الوجه . ويتعلق النوع الثانى بطريقة الحياة السياسيه والاقتصادية

وثمة وجه آخر للاختلاف بين العناصر البشرية وهو يتعلق بعاطفة تقدير الذات فإن الشعور بالمقدرة او بالجمال فى الانكايزى يختلف عنه فى الهندوسى : ولعاطفة الجمال تأثير فى الشعور بالمقدرة . وعادة الرجل الابيض ان يحكم على مقدرة الانسان من ظاهره . وعلى هذا كان رأى البيض فى العناصر الملونة !

واما امكان تفرق عنصر على عنصر آخر من الوجهة الطبيعية فهي مسألة تتعلق بالانثروبولوجيا : أى علم الانسان

ولقد اختار « موزيكاتسو ايناجاكي » ان يوضح التفاوت العنصرى من ناحية الصحة والجمال . فقال ان الحالة الصحية في العنصر البشرى تابعة لتأثير الحالة الاقتصادية (احوال النظام) والمناخ (الحالات الطبيعية) . وان رأى العنصر الابيض في الجمال ينحصر في البشرة البيضاء كما ان العنصر الزمنى يرى مبدأ الجمال في البشرة السوداء . ولكل عنصر بشرى استعداد لان يظن في نفسه الجمال

...

ونحن لكي نوضح صفات واخلق اى عنصر يجب ان نبحث طبيعة دمه ومقدار صفائه او اختلاطه بدماء أخرى دخيلة وتأثير ذلك في تكوينه وفي خلقه والعوامل التى تحرك همته فى الحياة . فاقمهم ينسبون إلى العنصر المصرى الاصيل النشاط فى حين أن همته لا تتجاوز النهوض بالعمل الضرورى . اذن فهو خاضع فى حياته العملية لقانون الضرورة وهو ادنا قوانين العمل . وان يظهر النشاط فى الحياة المصرية الحاضرة إنما ينسب بحق إلى الصبغة الأوروبية المكتسبة ويظهر أننا لا نريد ان نقتنع بان الانسان لا يستطيع تحت مناخ مصر ان يؤدى عملا يتجاوز به نطاق الضرورة . وقد اعتاد الفلاح المصرى التبكير الى مزرعته ولكن الانكليزى او الالماني اعتاد ان يرحل الى امريكا او استراليا لاستثمار اراض جديدة . والفلاح الايطالى لا يترك مزارعه الا لكي يشترك فى مشروعات التعمير فى فرنسا . والفلاح اليونانى مستعد للانتقال الى بر مصر للزراعة والمتاجرة الى اندر دان وبماهل افريقيا ما دامت موارد الارتراق هناك متوافرة وسائل الانراء كثيرة والنشاط هو ان يتجاوز عمل الفرد دائرة الضرورة . ونريد بالضرورة هذا العمل على قاعدة أن القناعة كنز لا يفنى !

ولو انقطع الفلاح المصرى عن التبكير إلى مزرعته فانه يموت جوعاً . ولكن الفلاح الالماني لا يخشى هذا المصير اذا لم يرحل الى افريقية . ومن ناحية النشاط فى العنصر البشرى يمكن الحكم على مزايادته ونضائله

...

وايس فى وسع احد ان يقول ان الدماء التى تجري فى عروق البحر بين

المعاصرين هي نفس الدماء التي كانت تجري في عروق معاصري «توت عنخ آمون»
او «سيزوستريس»

في الشعب المصري وحدة جنسية ولكن دماء غير صافية. وفي عنصر يتدهور
قوى حماه من الفناء في العناصر الاخرى. وهو انما يختلط بها عند الضرورة. لان
العناصر الاجنبية التي حكمت مصر تجذبت في البدء اشد التجنب الخلطة
بالمصريين. كذلك فعل العرب. وكذلك فعل الرومانيون واليونانيون من قبلهم،
ولا شك في انه من السهل ادراك وهلة الانقلاب وتأثيرها في النفس وما يكون في
روح المغلوب على امره من الاتضاع والذلة

وانما يبتدىء الاختلاط عادة بالخطاط العنصر الفاتح. ولقد اختلط الرومانيون
لعهد انحطاطهم بالعبيد. وفي هذه الحالة تنتقل بعض فصائل العنصر الفاتح الى العنصر
المغلوب. الا ان هذه الفضائل تنتقل في حالة انحطاطها وقد انما لتوتها الاصلية. وفي
الوقت نفسه تكون قد انتقلت عيوب العنصر المغلوب على امره ونقائصه الى العنصر
المسيطر. اذن يبدأ الاختلاط في الوقت الذي تبقى فيه صفات الانحطاط وطبائعه
وعاداته موجودة ومتبادلة بين العنصرين، الغالب والمغلوب

وعند ما وصل الاغريق الى هذا الطور اختلطوا بالتتر وبالعناصر الاخرى
الاشد انحطاطاً. وعند ما وصل اليه الرومانيون اختلطوا بالعبيد

على ان العنصر المغلوب على امره يقوى قليلاً بذلك الاختلاط. اذ يحرز
بعض مزايا العنصر الفاتح ويشاركه في شيء من امتيازاته واحياناً سلطانه (كالعجم
مع العرب) . وانما تقوى العناصر البشرية وتضعف بالاختلاط

ولما اختلط العرب الاقوياء بشعوب في عهد انحطاطها لم يلبثوا ان انحطوا
بسرعة غير مألوفة. لان انتقال اخلاق المنحطين وعاداتهم اليهم كانت سريعة
وفي الكيمياء شيء معروف للكثير يستحق ان نتخذه قاعدة في هذه المسألة.
وهو ان امتزاج عنصر بعنصر آخر يؤول عنصراً ثالثاً غريباً عن العنصرين
الاصليين. وهو ما اتفق حدوثه للمصريين في حقبة طويلة من الزمن. فقد
اختلطوا بعناصر منحطة فتقدوا بذلك دمهم من اصيل ولم ينحط الشعب

المصرى بمقدار ما اضطره لان طبيعة حياته لا تساعد على الانحطاط بمقدار ما كُن نظامه الفرعونى يساعد على الاضطهاد

ولقد اختلط العنصر المصرى بالأغريق وبالرومان والفرس والعرب والترك بالتعاقب فتغير دمه ولكن بقيت صورته type مصونة كما هو ظاهر فى مصر العليا. ولا تزال آثار الاختلاط واضحة فيه، ذلك لانه عنصر قديم

ومن فضائل الدم المصرى الصافى : الصبر والمثابرة بلا ملل على عمل رتيب كالزراعة ونحوها الامثلة الفخمة فى النحت والبناء وتحقيتها وصنع الخزائن والتحف الفنية، والازميل المصرى هو اول ازميل نحت من الجرانيت تمثالا لفرعون. وقد بقيت فى العنصر المصرى بعض هذه الفضائل كالصبر إلا انه فقد الذوق الفنى وقد مهارة فى الصناعة وليس غريباً ان تفقد العناصر البشرية مزاياها وفضائلها القديمة. إنما الغريب ان تفقدوها الى حد أن تصبح منقطعة الصلة والنسب انقطاعاً تاماً عن مفاخر ماضيها المجيد . ولا يخفى أن الشعوب المتقدمة ترث عن الشعوب المتأخرة مزاياها وفضائلها وطبائعها وتقاليدها

واذا قيل ان الدم المصرى الحاضر دم مختلط كُن هذا دليلاً على انقطاع الصلة بين المصريين الجدد والعنصر المصرى الفرعونى . وعبثاً نحاول البرهنة على وجود هذه الصلة بالاستناد الى بقاء الصورة المصرية الاصلية type فى سكان مصر العليا . فان الصور الشائعة فى روما الآن تتفق من وجوه كثيرة مع الصورة الرومانية القديمة. ولكن هل يكفى هذا وحده الدلالة على ان دماء البطارقة من معاصرى « يوليوس قيصر » و « اوغسطس » لا تزال تجري فى عروق ايطالي روما المعاصرين ؟ كلا .

فان الصورة شىء ، والدم الصافى الاصيل شىء آخر . وفى مصر صور وطنية لا تختلف فى شىء عن صور الانكاييز . فهل يصح ان يقال ان الدم الانكاييزى السكونى يجرى فى عروق اصحابها ؟

وللدم المختلط تأثير فى المزاج وفى الطبع وفى النفسية العامة . والمثل كفيل بتوضيح هذا رأى . أترون أن التركى الذى يولد فى القاهرة من أم مصرية او متمصرة يشبه فى مزاجه وفى طبعه ونفسيته التركى الذى يولد فى الاستانة من أب

من ، لم ماننا أن نضيف إليها جزء بعد جزء وهنة بعد هنة ، ولو قدر لنا أن نعيش
مكبين على هذا العمل دارال الآباد . لانه واحد ، غير مكرن من أجزاء . اننا لانستطيع
أن نعرفه ونشعر اليها الا اذا أيقنا بانه في الواقع صميم الفؤاد وروح الارواح . اننا نشعر على
أن نبلغ اليها بلالب والافتان المدين لشعر بهاء ، اذا ما تمكنا من انكار انفسنا ووقفنا
أمامه وجها لوجه .

ان أشد الصلوات حرارة وأكثرها في يقيني صدقا ، بل انص صلاة
خرجت من قلب بشرى ، هي تلك الصلاة التي تقع عليها في لساتنا القديم
حيث يقولون :

« أيها الواحد المتجلى بذاته تجل في روحي »

اننا في تعاسة وشقاء لاننا شارقنا أنفس روحياتنا . تلك النفس
الضيقة الثائرة التي لا تبعث من ضوء ولا تلج الى الانبياة بابا . ان نفسنا لتظهر
عالية الصوت ، ولكن بما تبعث بين جدراننا من صخب وصياح . انها ليست ذلك
الترقيم التي تهز أوتاره فتبعث بموسيقى السرمد والابد . واليك تنهدات الجزع
ومتاعب السقطات والاعطاء . والاحزان المعضة على مائة . والاشفاق مما هوأت .
فن كل هذه اشياء تلتى بافئدتنا في يم من الرعب والاثوف . لاننا لم نمثر بهد على
أرواحنا ، ولان ذلك الروح الذاني المتجلى ، لم يتجل بعد في حياتنا الباطنة .
ومن هنا اندمجت في مراتنا تلك الصيحة القلبية التي تقول فيها :

« أيها الواحد الجليل الميب ، تجنى بابتسامة غفرانك وصفك كل
وقت وأن »

ان اشباع اللذائد النفسية والشره الذي لا تنفع نهمتا ، وكبرياء الملك والاستعجاب
وأسفاف القلب نفورا وبخافة ، كل هذه أشياء تمنى من زرائها أ كفان الموت والبقاء
« رودرا » أيها الواحد ذو الجلال . مرق هذا الغطاء المظلم قطعا ، وأضرب
هذا الليل الخالك بشمع منج من سمات غفرانك وايقظ روحي »

« قد خطواني من الاحقية الى الحقيقة . ومن الظلام الى النور . ومن المرات

الى الخلود »

واسمى ثقافة من المانيا أو انكلترا أو فرنسا . ولكن هى مزاي العنصر وغرائزه
وملكاته وما أوتى من نشاط ومقدرة على الإبداع وتأثير مناخاته ووارده الطبيعية
والصناعية واختباراية التقليدية والمكتسبة وأذواقه الفنية ونظامه السياسى
والاقتصادى وصفات المجتمع الذى يعيش فيه ، الى آخر ما هنالك مما لا ينبغي
إغفاله .

ان المدنيات تتفاوت ، ففى درجات . أترون ان فى مقدور اليونانيين الجدد ان
يعيدوا الى بلادهم مثل حضارة « بيريكليس » ؟ كلا . ذلك لان مزاي دمهم الاصيل
وفضائله صارت منقودة بتأثير الخلطة بالعناصر الاخرى . هذا على فرض ان
حضارة « بيريكليس » تصلح لعصرنا الذى يسير بالكهرباء ويحلق فى الهواء
ويتغامم بسلك وبلا سلك !

.....

وغرضنا ان نبرهن على تجرد الدم المصرى من خصائصه الاولى ومزايه .
وان العنصر الذى يعيش الآن فى وادى النيل عنصر حديث لاصلة له البتة
بالعنصر المصرى القديم ، فقد كان من خصائص الدم المصرى الفرعونى النشاط
والاقدام ، أى أنه كان مستعمرا ومحاربا وفاتحا ، ولا علاقة لذلك بالنظام السياسى ،
فقد كانت الدولة الفرنسية لعهد الملوك تفتح البلدان بجنود سويسريه . ذلك لان
السويسرى نشيط ومحارب . هذه ميزة الدم الذى يجرى فى عروقه منذ أزمنة
طويلة .

ولهذه الميزة قيمة كبيرة فى دائرة السياسة الخارجية . فقد كان المسترلويد
جورج عقب الهدنة يفخر بمزاي الشعب البريطانى ويشير الى الشعوب الشرقية
ومن بينها مصر قائلا « ان حكومته لا تستطيع أن تعترف بحقوق سياسية للشعوب
البادية بالحياة » « Viable » . وإن الشعب خير المحارب لا يستأهل الاعتراف
بحقه فى تدبير شئونه الخارجية . لذلك حرمت مصر والعراق وفلسطين والهند من
تدبير . شئونها الخارجية بنفسها رأساً مع الدول ، وإنما ينوب عنها فى ذلك سفراء
بريطانيا وقناصلها من بعد موافقة الوزارة البريطانية .

ولا يذبح المعجب من عنصر بشري قديم كان محاربا وفاتحاً ثم فتدت مزايده
 في احفاده . فهذا طور لا يكاد يسم منه عنصر بشري تقريبا . واذكر اني حين قرأت
 رواية « لاسوموار » لا ميل زولا اثبت وقتاً طويلاً في دهشة واستغراب لاستحالة
 بطل الرواية من عامل شيط مجازف رضى الخلق ، الى شخص بليد مكبر جافي
 الطباع لجرد انه أصيب برض في ساقه
 ولكن تبين لي فيما بعد ان ليس في الامر ما يدهش وأنة جده طبيعي . وان ذلك
 التطور تابع لقانون غاي وانه من سنن الطبيعة التي لا تقبل التبديل .

عبد الحميد سالم

يقع



عن أبي العلاء المعري

...

ان هلات أفواهكم قتلوبكم	ونفوسكم دون الحقوق مهله
آليت ما توراتكم بمنيرة	ان ألفيت الكيت محله
لا تأمنوا برق الغمام وإنما	تلك السيوف من القضاء مسله
قال افتركار في الحوادث صادق	جعل الصعاب من الحذار مذله
هفت الخليفة والنصارى ما اهدت	ويهود حارت والمجوس مضله
اثنان أهل الارض ، ذو عقل بلا	دين ، وآخر دين لا عقل له

وقال :

ان كان من فعل الكبائر مجبراً	فمقابه ظلم على من يفعل
والله اذ خلق المعان عالم	أن الحداد البيض منها تجعل
سفك الدماء بهار جال أعصموا	بالخليل تلجم بالجديد وتعمل
لا تمس نار في الضمير فراشة	فضغائن الصدر الحريق المشعل

بين الصحف والمجلات

فى الشرق والغرب

النقد خير وسيلة لتدوير الفكر على الابتكار ، بل هو
طريق الاستقلال الحقيقى . « والعصور » مع احترامها لرأى
رصيفاتها ، لا تجد محيطاً عن ابداء رأيها ورأى قرائها فى
الموضوعات التى تشغل العالمين الشرق والغربى ، حبا فى الفائدة
وابتناء الاصلاح ،

١ - الهلال : مصر

(١) مرور مائة سنة على معركة نوارين - سنة ١٨٢٧ :

سننشر فى الجزء التالى من العصور مقالا مفصلا عن معركة نوارين بقلم
« مؤرخ » درس الموضوع درسا وافيا . غير ان هذا لا يمنعنا عن أن نبدى ملاحظات
على مقال رصيفتنا الهلال :

اراد الكاتب أن يدافع عن نية الاميرال كودرنجتون وحاول أن يثبت أن
اساطيل الاحلاف لم تكن تريد قتالا ولم يكن لها غرض فى الفتك بالاسطول
المصرى العثمانى . فبعد ان شرح مسألة الهدنة التى وقعت بين ابراهيم باشا وبين
قائد الاساطيل المتحالفة قال « وفى غضون هذه الهدنة أمد محمد على باشا ابنه
ابراهيم باشا بعارة جديدة ، فلم يرفض كودرنجتون دخولها فى الميبح - نوارين -
وانضامها الى الاسطول المصرى . فلو كانت نية كودرنجتون الحرب لمنع هذه العارة
من الانضمام الى الاسطول المصرى » .

والكاتب هنا مصيب في شيء واحد . فالحقيقة أن كودرنجتون لم تكن نيته الحرب ، بل الفتك والغدر بلا اعلان حرب ولا قطع علاقات سياسية . على أن كودرنجتون لو منع المدد المصري عن دخول الخليج لكان احسن نية من السماح له بالدخول . لأنه بمجرد داخل الخليج يستطيع أن يقضى عليها بسهولة . اما اذا ترك المدد في عرض البحر ، فانه بذلك يعرض الاساطيل المتحدة لخطر داهم عند بدء المعركة ، ويشطر الى تقسيم قواته ، مما يعمده عن الفتك التام بالاسطول المصري .

والدليل المادي على هذا أن الاميرال كودرنجتون بعد ان ادخل الاسطول المصري في الخليج لم يسمح لابراهيم باشا بالخروج ثانية ليؤدب عصاة بتراس الذين كسروا شروط الهدنة بالفعل . لأنه لو سمح بهذا ضاعت عليه فرصة الغدر والخيانة . والحقيقة ان السلطان عبد الحميد قد قال قولة حق تنطبق على سياسة اوروبا ازاء تركيا والاسلام انطباقا تاما في ذلك الحين . فقد قال « إن أوروبا تحاربنا حربا دينية في قالب سياسي » . ولقد كان هذا صحيحا ولو في أوائل القرن التاسع عشر على الأقل .

(ب) الخوف : ماهو وما الغاية منه ؟

قال كاتب هذا المقال « إن الخوف احساس اشبه بالجنون منه بالعقل » - وليس الخوف احساسا بل هو حالة نفسية ، أثر الوهم فيها أكثر من أثر الحقيقة . كذلك استعمال الكاتب اصطلاح « نفسولوجيا » كما لاحظت مرات أن الحلال تستعمل اصطلاح مصرولوجيا ، الاول نظير Psycho:logy والثاني نظير Egypto:logy ولا أدري كيف يمكن الجمع بين مقطع اصله من لغة سامية وآخر من لغة آرية . فكلمة نفس اصلها عبراني ولوجيا اغريقي ، لا اعلم فيما أعلم سببا يميز هذا الاصطلاح الشنيع . كما اني لا أدري لماذا لا تستعمل اصطلاح بيسكولوجيا . معربا ؟ حقا لقد بلغنا الى حد لا يحسن السكوت عليه ، بل يجب أن نرجع الى القواعد التي اتبعها العرب في التعريب وتتخذها اساسا لتعريب الاسماء والمصطلحات ، وهي بين أيدينا وفي المستطاع تطبيقها بسهولة ، لنعفى على هذا الفوضى التي ليس لها من آخر .

كذلك لاحظت على الكاتب أنه ينسب إلى الصفات النفسية نعوت
الذوات المتميزة ، فيقول « احساس مجنون » مكررا لهذا الاسعمال مرات عديدة .
وهذا مالا تجهزه اللغة ولا جرت عليه اساليب العرب . بل نقول احساس جنوني ،
نسبة إلى النعت نفسه . لاننا بالطريقة الاولى نشوش سبيل الفهم ونضيف إلى
الصفات النفسية المعنوية ، نعوتا تخرجها عن طبيعتها الواقعة . ولقد جرى
كثير من الكتاب على هذه الطريقة ، ونراها من أخطر الاشياء على الاساليب
العربية المنتقاه .

...

(ج) الثقافة والحضارة : قيمة الثقافة في انشاء الحضارة وتلوينها : بقلم
سلامه . موسى .

اعتقد أن الثقافة ، وهي التنوير الذهني ، يقابلها في نظام الاشياء الانسانية
مانسميه المدنية ، وهي الارتقاء المادى . ويجمع بين الاثنين مانسميه الحضارة .
فالحضارة اذن اسم جامع لمعناوين هما الثقافة والمدنية . وفي هذا التقسيم تدرج
كامل لتحديد المقولات المتخالطة . فالثقافة والحضارة ، وقد اراد الكاتب أن
يضع الحضارة ، في موضع المدنية ، مختلفتان في المعقول ولكنهما لا تتناظران ،
بل ان تضائفا مكملا لمعنى الحضارة .

وانتقل الكاتب بعد هذا إلى القول بأن عصر المأدون العثماني قد بدأت
تتحجر فيه على - حد اصطلاحه - صورة المدنية التي اقتبسها العرب من ثقافة
الرومان والاغريق والمصريين . والحقيقة ان هذه المدنيات كانت قد استحجرت
بالفعل قبل ان يظهر الاسلام - لا العرب - بمدنيته المعروفة . ولم يقد الاسلام ويهب
تلك الهبة الكبرى الا على انقاض ما استحجرت من المدنيات التي سبقته
ونحن مع اعتقادنا بان مدنية الاسلام قد استحجرت وشيكاً ، فانا لانوافق
الكاتب على رأيه في السبب الذي من اجله استحجرت مدنية الاسلام . لان
نفس الاسباب التي يعزوا اليها استحجار هذه المدنية قد قامت بذاتها في أوروبا خلال
القرن الوسطى ، فاستطاع أهل أوروبا ان ينفخوا عنهم غبارها . في حين ان الامم

الاسلامية لم تستطع هذا . اذن يجب أن نعتقد أن السبب بعيد عما يتوهم الكاتب ، ويجب علينا أن نفقش عنه في اعماق أبعد بكثير من الاعماق التي وصل اليها الاستاذ في بحثه .

كذلك يقول بان « الثقافة جسم قابل للنمو ، ولكنه يموت ويتحجر في الحضارة » وهنا يفتح لنا مجال كبير للمناقشة . فلا يصح لغوياً ولا علمياً أن نقول إن الثقافة جسم حي قابل للنمو . اما لغوياً فلأن الثقافة « مفهوم » لا يصح ان ينعت بنعوت الاشياء ذوات الاحياز . واما علمياً فلأن القول بان « مفهوم » الثقافة جسم حي قابل للنمو فيه كثير من الغموض الذي ياباه العلم . والممكن علمياً ولغوياً هو ان نشبه الثقافة بجسم حي ينمو ويرتقى ، لأن نقول إن الثقافة جسم حي قابل للنمو ، والا لجاز للفيلسوف هيربرت سبنسر مثلاً ان يقول فيما كتب في الاجتماع ان الكائن الاجتماعى Social organism هو فرد Individual عند ما أراد أن يطبق حالة المجموع وتكوينه على حالات الافراد وتكوينهم ، غير أن تكون عقلية العلمية أبى عليه هذا ، رغم أنه فيلسوف ، يجوز له مالا يجوز للعلماء تسامحاً ، فقال بان الكائن الاجتماعى يمكن تشبيهه بالفرد ، ومن هنا جرى على قياسه العلمى

ثم يقول لدى الكلام في تحليل السبب الذى من أجله استحضرت مدنية العرب كما يدعى : « وهذه الثقافة الاغريقية كانت احدى العلل في انحطاط العرب عقب عصر المأمون مباشرة » ونحن نتساءل كيف يمكن ان تكون الثقافة التى دارت عليها رعى النهضة الاوروبية فى القرن الخامس عشر هي بذاتها الثقافة التى كانت قد استحضرت فى الشرق وبين يدي العرب ؟ وكيف يمكن أن ثقافة تستحجر فى خارجية ثم تكون مرنة لينة فى ناحية اخرى . ؟ أما السبب الذى جعل هذه الثقافة تظهر بمظهر الاستحجار عند العرب ، فهو ان الثقافة التى قللت اليهم لم تكن ثقافة اغريقية . صحيحة ، بل كانت صورة من النصرانية تلونت بلون اغريقى من طريق التعاقبة والفساطرة الذين بشروا بمعتقداتهم النصرانية فى الشرق متخذين من الفلسفة اليونانية سبيلاً الى التبشير الدينى . هذا هو السبب الحقيقى

أما التصوف فقد انتقل الى العرب عن مدرسة الاسكندرية والراجح انها
النوع الذي استسقى منه العالم كل ما انتشر فيه من صور التصوف والباطنية

...

(د) المسرح ومستقبله : وما هو حظنا منه ؟

أنهى كاتب هذا المقال على علامة سيئة تظهر في المسرح المصري ، وهي
تلخص في أن طائفة من المسارح نزلت الى ذوق العامة بل الصعاليك بدلا من
أن ترفعهم . اليها وهذا الكلام صحيح . ولكن لماذا ينصرف على المسرح وحده ؟
ولماذا لا يقال في ٩٩ في المائة من الصحف والمجلات والسياسيين ومجالسنا
التشريعية وعلمائنا ومدرسينا ووزرائنا ، بل وضحكيننا وذوى المجاعة الى
آخر السلسلة التي يتكون منها طبقات المجتمع في مصر والشرق ؟

* *

٢ — مجلة التربية والتعليم : مؤسستها ساطع بك الحصري : تصدر في بغداد :
صدر منها جزآن ، حسنة الطبع والورق وتنحصر غايتها في اصلاح طرق التربية والتعليم

...

تطور علم النفس : نظرة إجمالية

دعونا مرارا عديدة الى تكوين اكدى للترجمة والتعريب ، لا يقتصر
اعضاؤها على امة دون امة من اهل العربية ، بل قلنا بان الواجب يدعو الى
تكوين اكدى مختلط للترجمة والتعريب يرجع اليها ويكون لها الفصل في تقرير
المصطلحات التي يجرى عليها الكتاب والمترجمون والمعلمون والاساتذة ، وان تكون
مصر مقرها لتوسطها من حيث الموقع الجغرافي بين البلدان الشرقية

ولم اكد اطلع على مقال « تطور علم النفس » في مجلة التربية والتعليم حتى
زدت اقتناعاً بوجوب تكوين هذه الاكدي . فقد ترجم كاتب المقال اصطلاح
Objective شبحانيا ، وترجمناه في مصر باصطلاح موضوعي وترجم Subjective شخصانيا
وترجمناها ذاتياً وفي الترجمة التي جرينا عليها مقابلة علمية دقيقة ، اذ يدل « الموضوع
والذات » على مقابلة بين المدركات تسهل الفهم على الطالب والشرح على الاستاذ

ووضع اصطلاح « سنن العلية » ترجمة لاصطلاح Causality والحقيقة أن لا سنن للعلية ، بل للعالية أوجه فقط كما أثبت ذلك الاستاذ « بيتى كروزار » فى كتابه « المدنية والارتقاء » هذا فضلا عن أننا وضعنا ترجمة « سببية » لهذا الاصطلاح ونعتقد انها أدل على المعنى المقصود . لان العلية تنود بالذهن حتما الى العلل الذاتية Final causes والفرق بين هذه وبين السببيات Causality التى هى عبارة عن ترابط اللاحق والسوابق الطبيعية ، كبير شاسع . كذلك اذا جربنا على ترجمة Causality بكلمة « علية » لزمنا أن نعثر على اصطلاح آخر نترجم به اصطلاح Final Causes . وترجم كلمة Determinism باصطلاح « الامينية » ونرى ان ترجمتها بكلمة « قصدية » اكثر دقة ، لان التعيين يدل على شىء محدود تماما وهذه درجة لم تبلغ اليها مباحث الفلاسفة والنفس بعد

وجرى السكاتب بعد ذلك على نهج فى الترجمة لا يمكن أن نقبله أساليب التعريب العربية . فقال فى فسيولوجيا Physiology « فسلجة » ويريد بطبيعة الحال أن يجرى على هذه القاعدة فيقول فى علم النفس بسلجيا ، بساجه ، وفى الجيولوجيا جيولوجه ، وفى التشريح Anatomy أسمه وفى النبات Botany بتننه وفى الحيوان Zoology زولوجه وهكذا . . . ولا ندرى كيف يمكن ان تقبل العربية مثل هذه السرطانة الغريبة . ولا ندرى أيضا بجانب هذا لماذا لا نجرى على القواعد التى انتهجها العرب فى التعريب ؟ فقالوا قاطية نورياس وإناليطيما وفيزيكا . حقيقة أنهم قالوا فلسفة وجرت عليها العربية . ولكن السبب فى هذا أنهم وجدوا لها مفردا فقالوا فيلسوف ، وجما فقالوا فلاسفة . ولكن ماذا نقول فى « فسلجة » مثلا . فإذا قلنا فى الجمع « فسلجة » فماذا نقول فى المفرد ؟ هل نقول « فيسلوج » أم « فيسلوج » أم « فسلجى » !! اليس فى هذا فتح لباب تلوح منه اللغة العربية ألوية يلهبها ، الكتاب مجونا ؟ ولماذا لا نقول فسيولوجيا وفسيولوجيون وعالم فسيولوجى والمدلولات مفهومة بالشرح مروفة بأصولها اللغوية

وقال في ترجمة Evolutional Psycholog « النفسيات التطورية » وقال في Genetic Psychology تكون النفسيات ، وحقيقتها « علم النفس النشوي » و« علم النفس التكويني » (ص ٨٣ جزء ثان) وقال في Behaviour « مسلك تدقيق الانتهاجات » — ولا أدري لماذا لا تقول « سلوك » وكفى ، ثم قال « ص ٨٤ » « وبهذه الصور الختلفة ، ولدت أبحاث « النفسيات الفيزيولوجية » Psychophysique من جهة ، و« النفسيات الفسلجية » Psychophysiologique ولماذا لا تقول « علم النفس الطبيعي وعلم النفس الفزيولوجي » كما أنه جرى في ترجمة Abnormal وnormal على أسوياء وغير أسوياء وحقيقتها الأفراد « القياسيون واللاقياسيون » ، على الرغم من أن هذا الاصطلاح لم يتحدد في كل لغات العالم تحديدا تاما يحتمل المعنى الذي أراده الكاتب .

* * *

٣ — المقتطف — مصر

من مقال بعنوان « أسرار الحياة على لوح الميكروسكوب »

المقال طلى حسن الأسلوب كما كثر ما تنشر المقتطف ، ودرستنا التي أسسها استاذنا الكبير الدكتور صروف رحمه الله .

غير أن لنا عليها بعض استدراكات وقعت في ترجمة بعض كلمات . فقد ذكر صديقنا المحرر المناضل كبة « البلمن » Pollen أو Pollen-grain (ص ١٣٣) ولا أرى حاجة إلى تعريب الكلمة لأنها أولا ليست من الاعلام التي تعود إلى الأصول اللاتينية أو الاغريقية ، وعلى هذا يجب ترجمتها ، وقد وضعنا لها كلمة « لقح » وفي القرآن « وأرسلنا الرياح لواقح » — أي تحمل « لقح » زهرة أو شجرة إلى أخرى . وكان المترجمون قد جروا في ترجمة هذه الكلمة باصطلاح « طلع » والحقيقة أن الطلع خاص بالنخيل وحده ، وقد جاء في القرآن « والنخل باسقات لما طلع نضيد » . واستحسن أن تطلق كلمة « اللقح » على كل أنواع الغيرة النباتية بما فيها النخل تحديدا لاستعمال المصطلحات العلمية .

وجاء في (ص ١٣٤) ما يلي : « ففي نواة أحد الحيوانات التي من نوع البروتوزوى — والحيوان منها خلية واحدة — نواة أخرى صغيرة »

وقد جرينا في ترجمة هذه اللفظة بكلمة « نوى » - بصفة التصغير مع ضم النون وفتح الواو - لأننا ما دمنا قد صرفنا على لفظة Nucleus كلمة نواة فلا نستطيع أن نصرفها على Neocleolus بل نصرفها على نفس القاعدة التي جرى عليها علماء أوروبا واخذوا هذه العزم في الاتصاف الحديثة .

*
* *

٤ - الحديث : حلب سوريا

صدر العدد الممتاز من مجلة الحديث التي يصدرها في حلب الشهباء صديقتنا الشاب الاديب سامي الكيالي . والحديث مجلة حديثة بكل ما نحتمل هذه الكلمة من المادني . فهي حديثة في آرائها وفي نهجها وفي أساليبها التي يجتهد الاستاذ سامي في أن ينوعها بقدر ما تسمح به الظروف التي تحيط بالحديث في موطنها البعيد عن الاحتكاك بالحركة الادبية والعلمية في مرا كزها الحقيقية . وقد قصرت الحديث أبحاثها على الآداب والتاريخ والعلوم الاجتماعية . وصدر الاستاذ الكيالي العدد الممتاز بهذه الكلمة . « اذا استطاع انسان أن يقنعني بأن فكري غير قيم ، أو أن عملي غير صالح ، فني أشير أسلوب تفكيري وطريق عملي . ذلك لاني انشد الحقيقة التي هي سبيل الصلاح والخير » . والكلمة مأخوذة عن تأملات الامبراطور الروماني والفيلسوف الرواق المعروف مارك أوريل أنطونين ، وتليها كلمة أخرى هي « جاهر بالحقائق : واقترح للناس ما ينفعهم . وأيقن بعد ذلك أنهم سيضطهدونك » . والكلمة الاخيرة تعبر أحسن تعبير عن منزع الحديث ومتجه صاحبه الاديب

ولقد بدأت صلتني بالحديث عن طريق خطاب تفضل الاستاذ الكيالي أن يبعث به الي وكنت لا أزال في عزلي الجميلة في ريف مصر بشمال الدلتا منقطعا عن جلبة الصحافة وحياة المدن . واقدر رأيت من طريق هذه الصلة كيف تتطور الحركة الادبية في الشرق وكيف تنمو بمجهود الشباب الذي يبذل دمه سخيا به في سبيل

المجد والمعظمة. رأيت كيف تفلت حركة الآداب من يد الشيوخ لتكون في يد الشباب
الملتلي، حرارة وقوة، وكيف تشق طريقاً جديداً وتفتح سبيلاً بكاراً

ولما وصلني العدد الأخير، وهو عدد الحديث الممتاز، عاودتني هذه الفكرة
عند ما رأيت في الحديث من الميزات الجديدة في بردها الأخير ما كانت تتضاءل أمامه
جهد الصحافة والصحفيين منذ عهد قريب. وإذا أضفت إلى هذا أن الحديث
تظهر في حلب وفي وسط لم يستغ بعد معنى العلم وحرية الفكر أم كنتك أن تعرف
إلى أي حد وصل جهد الاستاذ الأديب صاحبها لتكون من الطراز الأول بين
المجلات العربية

وأخص ما امتازت به «الحديث» عملها على تحرير الأفكار من طريق النقد
الحر وهو المبدأ الأوحد الذي لا نجد غيره سبيلاً للاستقلال فكراً وعملاً. والعصور
تهنى زميلتها بما وصلت إليه من رفق وبما ينتظر لها من ارتقاء على طول
السنين والأعوام



٥ — السياسة اليومية : مصر — ٢٢-٢-١٩٢٨

من مقال بعنوان : الحياة العربية وأثرها في الشعر أيام بني أمية :

هذا المقال عبارة عن تلخيص لثالث المحاضرات التي القاها الدكتور طه
حسين في الموضوع الذي يحدده عنوان المقال. ولقد ألتصحت لي وأنا أقرأ هذا
التلخيص المتعصب أن المحاضرة برمتها منقولة نقلاً سقيماً عن أحد المستشرقين
الذين لم يدرسوا الموضوع درساً وافراً.

لما نشر الاستاذ طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي ذكرني الكتاب ببحثين
في الموضوع أحدهما نشرته السيدة مسز بانث والثاني اطلعني عليه صديق المرحوم
الدكتور صروف كتبه الاستاذ المستشرق مرجوليوث في بحث الشعر الجاهلي
ونحن فيه منجى الدكتور طه عينه، بل وزاد إليه بحثاً مستفيضاً في معاني الالفاظ

التي استعملت في الشعر الجاهل والالفاظ التي وردت في القرآن مضيعة الى ذلك
تحديد الالفاظ التي كانت تستعملها القبائل كل قبيلة بذاتها . وأردت حين نشر
كتاب الشعر الجاهل أن أمضي في مقابلة تناول بها بحث الاستامة مرجوليوت وبحث
طه حسين ، غير ان المرحوم الدكتور عروفت منعتني عن هذا وأخذ الكتاب
مني وكان هذا آخر عهدي بالموضوع .

على ان نشر هذا التخليص قد اعاد لي هذه الذكرى واعاد معها فكرة أن
كتاب الشعر الجاهل قد اعتمد فيه الاستاذ على مستشرق أو مستشرقين ممن لم
يدرسوا الموضوع درسا رافيا ، فجاء على الصورة التي نشرتها في اللغة العربية . على
انني لا أنكر أن في الكتاب استنتاجات ذهب بها مؤلفه مذهب التطرف وعدم
الاحتياط . ولهذا سبب تكوینی في ذهن طه حسين لا يتيسر له أن يترك عنه
بسهولة . فقد لاحظنا أن الرجال الذين بدأت تربيتهم بين جدران الازهر ثم
احتكوا من بعد ذلك بمبادئ مقتطعة من الافكار الاوروية الحديثة ، كثيرا ما
ينزعون في الاستنتاج منازع التطرف الشديد . والسبب في هذا أن جمود الطريقة
التعليمية التي ينشؤون في كنفها بادية ذي بدء تؤثر في عقولهم تأثيرا يجعلهم ينزعون
منزع التطرف في الاستنتاج عند أقل احتكاك يستشعرون به شيئا من ربح
الحرية الفكرية ، مفهومة فهما سقيما .

على ان لدينا على هذه النظرية ادلة مادية يمكننا أن نرجع فيها الى ما قال
الاستاذ في محاضراته . فقد حاول مثلا أن يثبت أن العرب فهموا معنى الارستقراطية
والديمقراطية وأن هجرة قبائل العرب الى الشام قد لوتهم بعد أربعين سنة فقط
بلون جديد (تأقلموا) وتطبعوا بطباع بكر لم تكن معروفة فيهم قبل عهد الفتح
الاسلامي . في حين أن هذا القول يأباه علم البيولوجيا وكل فروع العلوم
النشوءية الحديثة ، فضلا عن ان صور الادب التي ظهرت في الشام والعراق ومصر
وشمال افريقية واسبانيا تدل على أن العرب قد لبثوا وسيلبون ملازمين لصورهم
الاصلية وطبائعهم الرئيسية التي ظهرت في آدابهم وعلومهم ومنازعهم التفكيرية